الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع

العقل عند القديس أوغسطين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

– بن السيلت فاطنة

إشراف الأستاذ:

بازة الحاج

السنة الجامعية

2017 /2016

شكر و تقدير

قال الله تعالى: " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ". النمل 19.

شكرا لله سبحانه ونحمده حمدا كثيرا على ما أنعم به من نعم التي تتم بها الصالحات.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "الحاج بازة" لجهوداته المعتبرة والنصائح القيمة التي أفادنا بها.

كما أتوجّه بالشّكر لأساتذتي على تشريفهما لي بقبول مناقشة الرّسالة ، و تقديرا منّي لما بذلاه من وقت و جهد و ما سيحبواني به من ملاحظات قيّمة.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة مسيلة

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

إهداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضئ للآخرين

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

مقدمة

مقدمة :

كان الدّفاع عن المسيحية هو الطّابع الغالب على التفكير المسيحي عند آباء الكنيسة في العصور الوسطى ، فالعقل البشري آنذاك كان يخضع لسلطة خارجية ألا و هي اللاهوت ، بحيث كان العقل البشري لا يملك حريّة التفكير في مسائل عديدة خارجة عن إطار اللاهوت ، فيفكر فيما يحدّده الإيمان فقط ، و بالتّالي خاضع لسلطة الكنيسة و الإيمان ، و إثر هذا ظهر التيار الذي يرى أصحابه أنّ العقل تابع للإيمان و خاضع له ، و أنّ التّيار الآخر الذي ظهر في بداية العصر الوسيط ، دعا إلى العقل أو أنّ الإيمان يحتاج إلى تعقّل و إلى عقل يفهمه فاليونانيون يلاحظ أنّهم هم الذين ساهموا بنصيب أوفر في البناء العقلي الدّيني ، في التّفكير المسيحي في العصر الكنسي .

و بالتّالي فإنّهم يرون بأنّ الإيمان المقرون بالعقل أحسن من الإيمان السّاذج و ظلّ هذا التّيار يقوى شيئا فشيئا و لم يتوقف لما واجهه من عقبات ، و بهذا أصبح الإيمان و العقل ضروريّان و أصبح لكلّ منهما ميدانه الخاصّ به ، لكن رغم ذلك فإذا كان البحث في اللاهوت أو البحث في العقل يؤدي إلى نتائج متناقضة فإنّه يجب أن يحدث توافق بينهما ، و إن اختلفا فإنّ هذا الاختلاف غير حقيقي و يبقى على مستوى وجهات النّظر فقط ، و لا يعني بأنّ لكلّ منهما حقيقة خاصّة به

و لذلك نجد بأنّ العقل البشري قد انشغل لمدّة طويلة ، في العصور الوسطى بأمور لاهوتية كفكرة الخير والشر ، و العديد من الأمور الأخرى ، كون الإنسان في العصر الوسيط كان متمسّكا بالإيمان ، و كان يأمل في أن يحيا في العالم الآخر بسلام ، و في نعيم دائم ، و بهذا فإنّ العقل يبقى متأثّرا بالعصر الموجود فيه ، و حسب تطوّر العصور تطوّر العقل تدريجيا ، و بدأ آنذاك بالتّحرر عبر التّاريخ . و منه أصبح هنالك وجود لمصطلح الفلسفة و خاصّة الفلسفة المسيحيّة ، لكن أوّل من اعترف بهذا المصطلح هو القدّيس أوغسطين ، ألا و هو محور دراستنا هذه ، و هذا الأخير قد اعتبر بأنّ هنالك فلاسفة يونانيين تأثر بهم و يتحدّث عنهم ، في مؤلفاته خاصّة << **مدينة الله** >> كما أن أوغسطين يرى في الفلسفة المسيحيّة أنها الفلسفة الحقيقيّة ، و تحاول هذه الفلسفة التي تعني العقل أن تفهم تعاليم المسيحيّة .

و بالتّالي فإنّنا من خلال ما قد عرضناه حول القدّيس أوغسطين قد يكون هناك فلسفة مسيحيّة بالفعل لكن حسب ما يراه أوغسطين ، و منه أصبح هناك فلسفة مسيحيّة مثلما توجد فلسفة يونانيّة و توجد

فلسفة أوغسطينية كما توجد فلسفة أفلاطونيّة و هنالك بعض الأفكار التي أتت بها الفلسفة المسيحيّة لم تكن موجودة في الفلسفة اليونانيّة كما يرى ذلك أوغسطين، و هناك العديد من الأفكار التي كان أصلها الفلسفة المسيحية و بقيت مستمرّة حتّى في الفلسفة الحديثة ، و تأثّر بها العديد من الفلاسفة .

ولذا فأوغسطين يرى بأنّ الفيلسوف يجب أن يتأثّر بمذهبه الدّيني و بالتّالي يصبح لفلسفته صبغة دينيّة كأن نقول فلسفة مسيحيّة أو يهوديّة أو إسلاميّة ، و لذلك فالمفكّر أو الفيلسوف المسيحي لابد أن يصبح لفلسفته طابع مميّز و خاص بها ، و هذا ما رأيناه عند القدّيس أوغسطين ، صاحب إنتاج غزير في العديد من المسائل التي عرضها في مؤلّفاته ، فأوغسطين الفيلسوف و القدّيس هو محور بحثنا هذا و الذي نحاول عرض إشكاليته و معالجتها من خلال هذه الدراسة المتعلقة بمسألة العقل لدى القديس أوغسطين .

- فهل للعقل مكانة في فكر القديس أوغسطين؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العامة جملة من المشكلات الجزئية :

- كيف نظر أوغسطين الى إشكالية العقل؟
- هل فهم أوغسطين الوحي على ضوء العقل ؟
- ماهي صلة العقل بالمجالات الأخرى لدى أوغسطين ؟
- كيف كان اثر أوغسطين على نماذج من الفكر الفلسفي؟

وان من الواجب العلمي تبيان أسباب و دوافع اختيارنا لهذا البحث و لذلك هنالك دوافع موضوعية تمثلت في:

* أهمية الموضوع و التي تستدعي إلى إثارة انتباه أي باحث من خلال تأثره بعرض القديس أوغسطين لدراسته

* أهمية دراسة الفكر الماضي و إعادة إحياءه كونه أصل الحاضر بالتالي عرض الأصل لفهم الفرع أو لفهم المتأثرين بأوغسطين

أما الدوافع الذاتية فتمثلت في :

- كون القديس أوغسطين ولد بمنطقة سوق أهراس حاليا أي هو جزائري تربطنا رابطة الوطن الجزائري .
- كما انه جسرا مرت عبره العديد من الثقافات لتصل إلى من بعده من فلاسفة متأثرين به و غيرهم حتى وصلوا إلى العصر الحديث.

و بذلك فإننا رمينا من خلال بحثنا هذا إلى أهداف سامية قد تناولنا شخصيّة مهمّة أردنا عرضها للتّعريف بها و ذلك من أجل أن تتوسّع معرفة العديد بها مثلما تعرّفنا نحن عليها .

كما كان بودّنا أن يكون بحثنا هذا مرجعا من بين المراجع التّي تتعلق بالقدّيس أوغسطين و أن يستفيد منها العديد من الباحثين عن معرفة فكر أوغسطين خاصّة ما تعلّق بفكرة العقل عنده .

كما قد رأينا أنّه من باب الصّواب ، و من أجل أن نصل إلى الغاية التي حدّدناها من هذا البحث أن نتّبع الخطّة التالية :

ابتدأنا بمقدّمة و ذلك من خلال عرضنا لها فقد ضمّت تعريفا بالموضوع كإبراز لملامح البحث و من ثمّ طرحنا الإشكالية و بعدها بيّنا الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع و أهدافه ، و الخطّة المستخدمة لعرض البحث ومن ثمّ المنهج المتّبع في هذه الدّراسة و أهمّ المؤلفات التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا ، لننتهي بالصّعوبات التي اعترضتنا في هذا البحث .

الفصل الأوّل الذي عالج العقل و مكانته عند أوغسطين ، و عرضنا فيه ثلاثة مباحث ، عالج هذا الفصل مسألة العقل بصفة عامّة ، حيث أبرزنا في:

المبحث الأوّل:أوغسطين و الأفلاطونية المحدثة كونها أهمّ محطّة مرّ بها أوغسطين في علاقته بمسألة العقل و مروره بالمانويّة و المرحلة الشّكية التي كانت لها علاقة بديكارت كما عُرضت في آخر البحث بينما الأفلاطونيّة المحدثة كان لها أثر بارز على أوغسطين من ناحية إثارته لمسألة العقل والدين ، و بداية لمشواره الديني أو اللاهوتي .

كما أردنا من خلال المبحث الثّاني أن نعرض مكانة العقل في العقيدة المسيحيّة و ذلك لكي نبرز أنّ العقل كان محبّذا عند الفلاسفة و آباء الكنيسة كذلك فيما بعد أمثال توما الإكويني.

أمّا المبحث الثّالث فقد بيّن مسألة العقل و النّقل عند القديس أوغسطين و كيفيّة معالجته لمسألة النّقل أو الوحي على ضوء العقل .

أمّا الفصل الثّاني فقد عرض تطبيقات العقل عند أوغسطين و فيه ثلاثة مباحث :

أوّلها كان بعنوان : نشأة العالم ، و هنا أردنا إبراز مكانة العقل و كيف فسّر أوغسطين نشأة العالم و فكرة الله من خلال العقل المتدبّر في الخلق .

و المبحث الثّاني تناول نظريّة المعرفة وكيف ساهم العقل في الوصول للحقائق المعرفية .

أمّا المبحث الثّالث فعرض مسألة السّياسة و الأخلاق ، و ذلك من خلال عرضنا للسّياسة من ناحية التنظيم و التّسيير لكن تفكيره العقلي بيّن أنّ الأخلاق جزء من السّياسة و لكي تكون لنا سياسة واقعيّة يجب التّحلي بسلوك أخلاقي و ديني راقي لتصلح السّياسة .

أمّا الفصل الثّالث فعنونّاه بأوغسطين و أثره على الفلسفة ، و أردنا من خلال هذا أن نبرز مكانة أوغسطين الفلسفية و الدّينيّة ، و ذلك من جانب الأثر الذي تركه فيما بعد للفلاسفة المتأثّرين بفكره الدّيني و الفلسفي ، و هذا ما عرضناه في ثلاثة مباحث .

تناول المبحث الأوّل القدّيس أوغسطين و القدّيس أنسلم ، و من خلال دراستنا إكتشفنا بأنّ أنسلم من المتأثّرين بأوغسطين خاصّة في مسألة العقل و النّقل .

أمّا المبحث الثّاني الذي خصّصناه للقدّيس أوغسطين و القدّيس بونافنتورا ، فكان لمعرفتنا المسبقة بأنّ بونافنتورا أكمل طريق أوغسطين كونه تأثّر به ، فكانت فلسفته مطابقة لفلسفة أوغسطين و كان مؤيّدا له في العديد من المسائل ، و منه خلصنا إلى مبحث أخير فكان :

بعنوان : القدّيس أوغسطين و ديكارت و في الحقيقة ما دفع بنا لإختيار ديكارت هو ما لاحظناه من خلال مرورنا على المعلومات وجدنا الكوجيتو الأوغسطيني و هذا ما أوحى لنا بإدراجه لملاحظة ما مدى

جدليّة التّأثير بينهما و هل هناك تأثر أم لا ، مع علمنا بأنّ هناك كوجيتو أوغسطيني و كوجيتو ديكارتي ، و لأنّ الكوجيتو مسألة تخصّ العقل أردنا إدراجها في بحثنا هذا .

وختمنا البحث بخاتمة كانت كاستنتاج لما توصّلنا إليه من نتائج في هذا البّحث ،وككلّ بحث قد دعتنا الضرورة العلميّة إلى إتباع المنهج التّحليلي و منهج المقارنة ، و ذلك من خلال استخدامنا المنهج التّحليلي في كامل البحث في شرح و تبسيط و تفكيك الأفكار ، أمّ المنهج المقارن فقد استخدمناه في الفصل الأخير من خلال مقارنة بين أوغسطين و أنسلم و بونافنتورا و ديكارت .

وقد استخدمنا في بحثنا هذا مجموعة من المصادر و المراجع كان أهمّها التي استخدمتها لأوغسطين هي (مدينة الله) و كتاب الاعترافات ، أمّا المراجع فقد استخدمنا البارزة منها و التّي تخصّ أوغسطين فقط منها كتاب لعلي زيغور بعنوان أوغسطينوس مع مقدّمات في العقيدة المسيحيّة و كتاب لزكريّا إبراهيم بعنوان اعترافات القدّيس أوغسطين ، و كتاب لزينب محمود الخضيري بعنوان ، لاهوت التّاريخ عند القدّيس أوغسطين ، و العديد من المراجع التي كان لأوغسطين منها نصيب ، ككتاب لحسن حنفي بعنوان : نماذج من الفلسفة المسيحيّة في العصر الوسيط ، و غيرها كثير و قد اعتمدنا على معاجم و موسوعات كثيرة منها : روزنتال بعنوان : الموسوعة الفلسفية ، و معجم الكتّاب المقدّس ، و عبد الرحمن بدوي بعنوان : الموسوعة الفلسفية و غيرها كثير .

و قد واجهتنا مجموعة من الصّعوبات التي اعترضت طريقنا أهمّها :

*صعوبة فهم فكر القدّيس أوغسطين خاصّة مسألة العقل عند أوغسطين المعروف بأنّه قدّيس أي رجل دين فكيف يكون فيلسوف و كيف يُدخل العقل ليقسّم به العديد من المسائل قد كان هذا أمرا صعبا بالنّسبة لنا أن نفهم هل هو لاهوتي و قدّيس أم هو عقلي وفيلسوف ، أمر في غاية الصّعوبة و التّعقيد.

*و الأمر الآخر أنّ الذي يدرس فكر أوغسطين يجد بأنّه كان له دراسات متنوّعة كثيرة و متداخلة بين الدّين و الفلسفة ، و هذا أمرا شاقّا بالنّسبة لنا فلم نستطع بسهولة ماذا أستخدم ؟ و ماذا أترك ؟ و هل كلّ شيء هو مهمّ ؟ .

الفصل الأول:
العقل و مكانته عند أوغسطين

- المبحث الأول:أوغسطين و الأفلاطونية المحدثة .
- المبحث الثاني :مكانة العقل في العقيدة المسيحية .
- المبحث الثالث :مسألة العقل و النقل عند أوغسطين.

تمهيد :

مما لا شك فيه بأن لكل فيلسوف عصر عاش فيه تأثر به و أثر فيه ، بل و كان له بالغ التأثير خاصة على فكره ولذلك فإن لكل فيلسوف مذهب فلسفي ولفهم ذلك المذهب الفلسفي ، لايمكن إلا إذا تمت دراسة الظروف المحيطة بهذه الدراسة ،و مع الاهتمام بكل المؤثرات الفكرية على الفيلسوف من مذاهب و تيارات فكرية نشأ فيها ، و لذلك حاولنا أن يكون الفصل الأول بمثابة بداية للدخول أو التسرب الذي ندخل من خلاله إلى فهم فكر القديس " أوغسطين " .و لكي نرى كيفية معالجته لموضوع العقل أو إشكالية العقل التي حاولنا من خلالها أن ندرس تأثر أوغسطين بهذا المذهب الأفلاطوني أو ما يعرف بالأفلاطونية المحدثة من ناحية أنها تعالج جانب المعرفة و الحقيقة و جميع المواضيع من خلال العقل ولذلك تأثر بها أوغسطين من ناحية العقل ،كما حاولنا معرفة مكانة العقل في المسيحية لدى أوغسطين وغيره ،وجعلنا لكل محطة من محطاته الفكرية مبحثا خصصنا له حقه من الدراسة في فصلنا هذا .

المبحث الأول :أوغسطين والأفلاطونية المحدثة .

" بدأت *الأفلاطونية في القرن الرابع بشرح (ماكروب macrobe) على حلم سيبيون in somnium scipionis معتمدا صراحة على أفلاطون و أفلوطين [1] ".

و لذلك فإن القديس *أوغسطين قد وصلت إليه كليا أو مقتطفات من بعض الكتب التي قام بترجمتها (فيكتور رينوس)، كما أن أوغسطين قد اطلع على العديد من الكتب لفورفوريوس و لكن ما قد قرأه أوغسطين بإمعان و تدقيق هو كتاب التساعات لأفلوطين ، كون أوغسطين معجبا و متأثرا جدا بأفلوطين،وقد تعرفه على فلسفة اليونان خاصة ما وجده في فلسفة أفلوطين من تعاليم مشابهة جدا للتعاليم المسيحية والتي قادته إلى التعرف على المسيحية التي تهرب منها لفترة من الوقت.

لهذا نجد بأن في كتاب الاعترافات لأوغسطين إشارات لكتاب التساعات " كان إعجاب القديس أوغسطين بأفلوطين فائقا ، خلابا في البدء خاصة[2]".

و بهذا نجد بأن أوغسطين قد تأثر بالتعاليم الأفلاطونية المحدثة التي جاء بها أفلوطين خاصة و أن أفكار أفلوطين جد مقاربة لأفكار و تعاليم المسيحية و بهذا فإن أوغسطين استطاع حل العديد من المشاكل التي كانت

*الأفلاطونية: مذهب أفلاطون، و هو أوضح صورة للمثالية قديما، يؤمن بقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة المطلقة، أنظر: إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي،(الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983)،ص: 18.

*أوغسطين: (354- 430): لاهوتي و فيلسوف مسيحي و أحد كبار آباء الكنيسة أبوه وثني أمه مونيكا مسيحية، أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984)، ص:247 .

[1] حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط،(مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة ، ط2، 1987)، ص :5 .

[2] علي زيغور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفة الوسيطية، (دار إقرأ، بيروت، ط1، 1983)، ص: 106 .

تواجهه خاصة المشكلات العقلية " ولقي فيها إشباعا لنزعته العقلية التي كانت تنشد اليقين و تلتمس الوضوح ، و تبغي المعرفة "[1].

و هي أي الأفلاطونية المحدثة لها نفس التعاليم تقريبا مع الدين المسيحي ، و لهذا يقصد بها " محاولة لوضع فلسفة دينية أو دين مفلسف"[2] ، وهذا ما نقصد به أن الأفلاطونية المحدثة ساعدت أوغسطين على تفسير المسيحية بصورة عقلية ، و لهذا بقي متمسكا بارتيادها بحيث حاول إثبات بأنها متناسقة مع المسيحية "لم ينفك (ق.أ) من استغلالها ،و ارتيادها، و التعمق فيها، و تقليبها مبينا في ذلك كله أنها ،في جوهرها ،قابلة لأن تتناسق و تنسجم مع المسيحية"[3].

ومن هنا كان أوغسطين متأثرا بالأفلاطونية بعد تأثره بالمانوية وهجره لها ، ثم بالمذهب الشكي وهجره له ، حتى وصل إلى الأفلاطونية التي رأى فيها تعاليم المسيحية ،كما رأى بأنها فلسفة مثبتة عقليا ومؤسسة للدين المسيحي ، وساعدته على حل مشكلات عقلية ، ولذا فإن المسيحية كانت متناسقة في حل هذه المشكلات ، ولذا فإن المسيحية كانت متناسقة في تعاليمها مع الأفلاطونية المحدثة وبالتالي فإن "رسائل أفلوطين ، أفادته في حل مشكلات عقلية كانت تحول بينه وبين فهم المسيحية كما يجب أن تفهم "[4]. وبهذا نجده كذلك متأثر بأفلاطون رغم أنه لم يقرأ له كثيرا لكن نجده يقول في مدينة الله " إنما نفضل تلاميذ أفلاطون على سائر الفلاسفة الذين وقفوا دروسهم وقواهم العقلية، بحثا عن العلل الطبيعية و القاعدة و النظم الأخلاقية ، ولكن الأفلاطونيين إذا عرفوا الله اكتشفوا في الوقت عينه المبدأ الذي أسس الكون و النور الذي يمتعنا بالحقيقة و الينبوع الذي منه تنهل

---

[1] زكريا إبراهيم، إعترافات القديس أوغسطين، (مكتبة الأسرة، مصر، دط، 1994)، ص :11.

[2] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،(دار القلم ، بيروت ،ط3)،ص: 285.

[3] علي زيغور ، أوغسطينوس ، مرجع سابق ، ص: 106.

[4] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، (مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، دط،2012)، ص: 26.

السعادة، وسواء أكان الأفلاطونيون وحدهم قد توصلوا إلى تلك الفكرة عن الله أم شاركهم فيها فلاسفة آخرون ، فشعورهم شعورنا " [1].

وبهذا عرف أوغسطين معنى الروح و اليقين من خلال الأفلاطونية وعرف أن الشر ليس وجودا و لا جوهرا ورأى أن الحقيقة تستقصي وتكمن وراء عالم الأجساد أو المادية التي نادت بها *المانوية ولذلك وجد بأن الأفلاطونية لها تعاليم مقاربة للدين المسيحي سبق لنا الذكر لقول أوغسطين في مدينة الله " إخوان لنا بالمسيح يتعجبون حين يعلمون ، إما بالحديث وإما بالمطالعة ، أن أفلاطون كانت له أفكار عن الله مطابقة لحقيقة ديانتنا"[2] كما يقول أيضا في مدينة الله " أن الله جمع الأرض و النار معا و من الواضح أن النار هنا تعني السماء ، وهو معنى يتلائم ،إلى حد ما ،مع كلمة الكتاب المقدس "[3]

و من خلال كل هذا نجد بأن أوغسطين في مدينة الله يتكلم عن أفلاطون ، وليس أفلوطين وذلك من خلال إتقانه لليونانية لمراجعة ترجمات الأسفار المقدسة ولذا نجد أنه عند إطلاعه للكتب وجد بأن الأفلاطونية و الأفلوطينية الجديدة هما مذهب واحد كون أفلوطين متأثر بأفلاطون و هذا مايراه أوغسطين في مدينة الله .

---

[1] أوغسطين ، مدينة الله ، تر : يوحنا الحلو ، (دار المشرق ، بيروت ، ط2 ، 2006، المجلد الأول)،ص:381.

*المانوية :مذهب (ماني)الفارسي الذي عاش في القرن الثالث للميلاد وعمل على التوفيق بين المسيحية و الزرادشتية قال ان للعالم مبدأين :احدهما النور وهو مبدأ الخير ،و الآخر الظلمة وهو مبدأ الشر، انظر:جميل صليبا،المعجم الفلسفي (دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1982،ج2)،ص :314 .

[2] المصدر نفسه ،ص:382.

[3] المصدر نفسه ،ص:383.

" فأشهر فلاسفة عصرنا الذين إتبعوا أفلاطون يرفضون إسم مشائين و إسم أكاديميين ويمسكون بإسم أفلاطونيين ، و اهمهم بين اليونان أفلوطين وجمبليك وبورفير".[1]

ويرى أوغسطين من خلال كتابه الرد على الأكاديميين بأن أفلوطين متأثر بأفلاطون " وكان يعتقد أن الأفلاطونية و الأفلوطينية الجديدة مذهب واحد "، ولذلك فإن أوغسطين يرى أن أفلوطين شبيه بأفلاطون لأن أفلوطين جاء متمما لمذهب أفلاطون .كما نجده يقول " أنه يجب تفضيل مذهب الأفلاطونيين على سائر المذاهب "[2].

ولذلك فإن الأفلاطونية لها تعاليم مشابهة إلى حد كبير تعاليم المسيحية ولذا نجد القديس أوغسطين متأثرا بها خاصة مع فيلسوفه الأكبر أفلوطين كونه لم يعرف أفلاطون إلى درجة كبيرة مثل معرفته بأفلوطين لكن فرح بالأفلاطونية لأنها حلت له مشاكل كانت تواجهه في حياته وذلك قبل أن يطلع على الأفلاطونية " مما يدل على أنه كان مسيحيا بالقلب قبل أن يطلع عليها "[3]

لكن أوغسطين يرى أنه قد توهم بعض الأمور ، "فوجد فيها أن الله خالق العالم و النفس .في حين أن أفلوطين يقول بصدور الموجودات عن المبدأ الأول صدورا ضروريا ، وتوهم أنه وجد فيها القول بالكلمة ، أي بأن المسيح كلمة الله ، مع أن الأقنوم الثاني عند أفلوطين أي العقل الكلي؛ متمايز من الأول و أدنى منه مرتبة ، على أن أوغسطين يستدرك فيقول : إنه أحال أفلوطين مسيحيا ، لا أنه انقلب أفلوطينيا "[4]كما أن تفسير أفلاطون لعالم المثل مشابه لمدينة الله عند القديس أوغسطين حول فكرة الله .

---

[1] أوغسطين ، مدينة الله ،المجلد الأول ،مصدر سابق ،ص:385 .

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص : 29 .

[3] المرجع نفسه ، ص: 26 .

[4] المرجع نفسه ، ص: 27 .

"فقد نسب شيشرون في كتابه الجمهورية De republica إلى سيبيون اميليان في منامه وهو يشير إلى قرطاجة ويتنبأ له بالنصر ويحثه على الخير ويعرفه بأن، للشهداء عند الله أحسن الجزاء ويدعوه لأن يتجه إلى السماء ، فالجسد فان ، و الروح باقية . وبهذا فان ماكروب شرح هذه الرؤيا معتمدا على أفلاطون و أفلوطين"[1] . وبهذا نجده يقصد بأن الخير هو أول ما وجد و يليه في المرتبة الثانية العقل الصادر عن الله ،و هو ما يحمل صور المثل التي تشبه صور الواقع ،بحيث تصبح نماذج عن بعضها البعض و لما يعود العقل لنفسه تصدر عنه النفس، ولأن العقل هو من يحضن كل المعارف و أنواعها فنجد أن النفس التي تكلمنا عنها هي النفس الأولى والتي تتفرع عنها نفوس فردية تجتمع كلها داخل النفس الأولى ، لكن تنقسم هذه النفوس الفردية فبعضها يبقى في النفس الأولى و البعض الآخر يتحد بالجسد ، ومنه ينسى أصله الأول أو النفس الأولى ، لكن النفس تبقى محافظة على فضائلها التي تكتسبها من خلال مرورها بعالم الأفلاك و الذي يرمز كل فلك منه الى فضيلة من الفضائل ،أو ما يسمى بملكة عقلية من ملكات النفس و ذلك يتم من خلال ما تحتفظ به من خلال معرفتها بالله ، و الفضائل تترتب ترتيبا تصاعديا من خلال مجموعات هامة من الفضائل "كالفضائل السياسية الحذر و القوة و الإعتدال ،و العدل و الفضائل المطهرة التي تخلص الروح مما يبعدها عن التأمل ، فضائل التعقل القادر على التأمل ،ثم الفضائل المثالية الباطنة في العقل الإلاهي"[2].ويوجد لها شبيه في العلم الواقعي المخلوق ، و إن ما تعلمه عن أفلوطين كثير ولذا نجد بأن"الحقيقة ممكنة التعلم وقابلة لأن تعرف ، أن الله هو الكائن الأسمى ،الروحي ،اللامتناهي ،الأبدي ،و المتوحد مع الحقيقة الأبدية إن النفس عقل و ندرك ما وراء العالم المادي للأشياء أي عالم الأفكار المعقول "[3].و بالتالي فإن الله هو صانع كل شيء في هذا العالم من مخلوقات و موجودات ولا وجود لشيء بدونه،وان الله هو حقيقة الحقائق و الذي ينير درب كل انسان في هذا العالم،لأن الله هو النور وهذا النور الذي نتكلم عنه هو الذي

[1] حسن حنفي ،نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ،ص : 6.
[2] المرجع نفسه ، ص: 6.
[3] علي زيغور، اوغسطينوس ، مرجع سابق ،ص :107 .

ينير النفس فترتفع درجة تلوى الأخرى لتأمل الحقيقة الخالدة وهي الله ،وما ينتج عنه من حقائق اخرى وموجودات وما يصدر عنه من خلق للعالم وللإنسان وللمخلوقات كافة .وبالتالي فالنفس تعلو لتصل إلى أكبر المعارف لتدركها وهنا نقصد الله كحقيقة وكمعرفة يصبو العقل للوصول إليها ،وذلك عندما تمر النفس بالأفلاك التي يقصدها أوغسطين تصل إلى معرفة الله وعند نزولها لتتحد بالجسد تتعرف على فضائل إذا عملت بها تبقى سعيدة وخيرة في نفس الوقت وإذا تخلت عنها أي تلك الفضائل فإنها تعيش بتعاسة دائمة وتبقى أسيرة لشهوات الجسد.

المبحث الثاني: مكانة العقل في العقيدة المسيحية.

يرجع معنى العقل في أصله اللغوي إلى العقل بمعنى الإمساك و الإستمساك فمنهم من قالوا : "عقل البعير عقله واعتقله ، ثنى وطيفه على ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع وكذلك الناقة وذلك الحبل هو العقال والجمع عقل وعقلت الإبل سدد للكثرة"[1] .

" و العقل هو الحجر و النهي وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة عن الشرود"[2] .

" كما أن العقل بالذات تبعا لقرائن مدلول الفهم وملكته أيضا ، و الجدير بالإنتباه أن اللغة العربية بالرغم من غناها في مختلف النواحي حتى بالتحديدات الذهنية لم يسعها أن تسوق هنا إلى ذلك التمييز" [3]. وبالتالي فإن العقل قد كان له عدة معاني ، وله مكانة مهمة من خلال أننا نستنتج بالعقل وندرك بالعقل ونستدل بالعقل ونكشف عن الحقائق بالعقل ونستطيع من خلاله أن نميز بين الأمور كلها .

ويقصد بالعقل "عادة ملكة الإستدلال الصحيح و الإستنتاج و عرض المرء أفكاره بطريقة منطقية ، و العقل يضفي شكلا على المضامين الحسية ومن ثم يميز الأشياء"[4]. ولذلك فإن مسألة العقل إرتبطت بالمسيحية ولذلك عندما شهد القرن التاسع حركة علمية زاهرة كان أكبر أعلامها "جون سكوت أريجينا "،لكن هنالك بعض الاضطرابات التي حصلت في القرن الذي يليه ، فبرز أمثال أوغسطين أي لاهوتيون بارزين في عصرهم كان

---

[1] ابن الطفيل ، لسان العرب ، (دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ،دط، 1956 المجلد 11) ، ص: 454.

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دط،1982، ج2)، ص :84.

[3] لويس غرديه ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية ، تر : صبحي صالح ، (دار العلم للملايين ، بيروت،دط،دت)، ص :97.

[4] روزنتال ، الموسوعة الفلسفية ، تر : سمير كرم ،(دار الطليعة ، بيروت ،ط2 ،2006)، ص: 296.

أعظمهم قدرا القديس أنسلم ، فكان مكملا للطريق الاوغسطيني بحيث أصبح مثل المصادر السابقة ، فكان اللاهوتيون أوغسطينيين أي أفلاطونيين ، وكانت آرائهم مثل آراء أوغسطين والآراء الأفلاطونية ولم يكن هناك جديد علمي يذكر إلا بعض المؤلفات مثل "كتاب إيساغوجي لفورفوريوس ، وكتب المقولات و العبارة و التحليلات "[1]"الأولى لأرسطو على أنه كان لهذا المنطق الضئيل أثران هامان : فقد أدى من ناحية إلى إثارة مسألة الكليات الخمس ونصيبها من الحقيقة في الخارج ،وكان هذا عبارة عن إثارة مسألة المعرفة ، وأدى من ناحية أخرى إلى محاولة تطبيق قواعد المنطق في معالجة المسائل اللاهوتية ، وكان هذا بداية البحث في العلاقة بين العقل و الإيمان"[2] .

إننا نجد العديد من المسحيين من يرون بأن هناك تناقض بين الفلسفة والدين وذلك من خلال أنه قد نتبنى مسألة دينية بالعقل ونعارضها بأخرى من الإيمان وان هؤلاء الذين يعتقدون بهذا الرأي هم ليسوا غالبية كبيرة من المسيحيين فهنالك اخرون يرون بأن الفلسفة والدين متصلين مع بعضهما وأن لهما نفس الوجهة ولهم أثر في تاريخ الفكر المسيحي ويشكلون أغلبية ساحقة في العصر الوسيط ،فقد وجد نفر من المسيحيين اقتنعوا بالتغير بين الفلسفة و الدين ، فذهبوا إلى أننا قد نقبل بالعقل قضية ما وتعتنق نقيضا بالإيمان ، ويوجد الآن أمثال هؤلاء ، وسيوجد لهم أمثال بلاريب ، ولكن التاريخ يعرض علينا مسيحيين آخرين ، كانت الفلسفة و المسيحية عندهم متصلتين متفاعلتين ، فأضافوا وجهة جديدة في تاريخ الفكر ، وهم يؤلفون الغالبية العظمى في العصور الوسطى ، "هؤلاء يتفقون في أن الوحي و العقل من عند الله فمحال أن يتعارضا ، و أن العقل يجد في الوحي هاديا ومعنيا، ولكنهم يفترقون طائفتين في تصور الصلة بين الطرفين "[3] .

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 5.

[2] المرجع نفسه ، ص: 12.

[3] المرجع نفسه ، ص: 16.

وبهذا كان هناك تداخل في المسيحية بين الدين الذي كان يسيطر على تفكيرهم و بين إعطاء مكانة للعقل داخل المسيحية ،ولذلك نجد بأن هناك من يعطي كل الأولوية للعقل ،وهناك من يعطي الأولوية للدين، لكن مع كل هذا نجد بأن للعقل مكانة داخل المسيحية ،ولذلك نجد العديد من المسحيين قد ناقشوا مسألة العقل بالرغم من أنهم رجال دين أو قديسين لكن أعطوا للعقل مكانة ولهذا نجد له مفهوما في المسيحية مثلما في الإسلامية أوعند المسلمين الذين يعطون للعقل مكانة و مفهوما أمثال" ابن رشد و ابن سينا و الفارابي "و غيرهم.

أما بالنسبة لمفهوم العقل في المسيحية فإنه "يدل على الغريزة العقلية ذاتها إذ تعمل متقيدة بنمطها البشري و الاستدلالي ، ولقد بينت الروحانية التي ازدوجت فيها الأرسطية و التومستية أن هذه الغريزة البشرية هي ملكة من ملكات النفس ، ثم إن العقل الفعال الذي ينتقل العقل منه منفعلا إليه قائما بالفعل حقا هو بالذات نور العقل الغريزي في كل منها لقد طال الزمن بالفكر المسيحي حتى كشف بوضوح عن وظيفة العقل في المنهجية اللاهوتية"[1]وبالتالي فإن مشكلة العقل والإيمان ظهرت لدى أباء الكنيسة خاصة في العصور الوسطى ،بحيث أصبح هناك من يمنع العقل من التدخل في مسائل عديدة خاصة إذا استخدم العقل بإسراف في مجال اللاهوت ولكن فاتهم الأمر أن ينظروا في العلاقة بين العقل و الإيمان ومنه نجد بأن المنهجية العقلية تعني نقل المستمع الى التعمق في أمور الغيب و دراسة الأساليب النقلية و بالتالي يصبح "الإيمان باحثا عن التفقه "[2].وبهذا نحاول معرفة تعمق العقل لدراسته لأمور الإيمان ،فنجده يجتهد في إظهار العلل المخفية وراء الأمور الغيبية فالعقل يستطيع التوصل للحقائق عبر العصور وبإستمرار حتى انه يتوصل إلى الأمور اللاهوتية التي بدورها تأتي دفعة واحدة ولذا فإن هذا لا يمنع العقل"من أن يمتد إلى نتائج لم ينطوي الوحي عليها إلا ضمنيا"[3] .أما عند أبيلاردس من أشهر فلاسفة العصور الوسطى الأوربية فقد ميز أبيلارد تمييزا دقيقا بين الإيمان و العقل ، بين اللاهوت و الفلسفة ."فاللاهوت

[1] لويس غرديه،فلسفة الفكر الديني بين الاسلام و المسيحية،مرجع سابق ،ص :93.

[2] المرجع نفسه ، ص :94 .

[3] المرجع نفسه ،ص ،ص:95،96.

موضوعه الكتابات المقدسة ، أما الفلسفة ، و تشمل المنطق و الفزياء (العلم الطبيعي) و الأخلاق ، فموضوعها المعرفة العلمية الدقيقة القائمة على العقل "[1].ولذلك فإن هناك من الفلاسفة من هاجم الدين في العديد من المواضيع ، وإن الدين في حاجة لتدخل العقل لتفسير مواضيع غامضة جاء بها الإيمان ، وللفصل في الأقوال المتضاربة التي يتداولها أباء الكنيسة ، والى جانب كل هذا يجتهد العقل عن طريق المشابهات في توضيح اسرار الدين ،"وإذا كان العقل لا يستطيع أن يصل في هذا المجال إلا إلى آراء محتملة فحسب ،فليس هذا مبررا لإغفال دور العقل في فهم الأمور الإيمانية " [2]

كما نجد للعقل أهمية ومكانة تكلم عنها (جان اسكوت أريجين) أول فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية ، الذي "يرى أن اللاهوت و الفلسفة متفقان، ذلك أن للنفس ثلاث قوى هي:

1) الحواس و تدرك الظواهر .

2) الذهن ratio و يدرك بوصفه علة – الأشياء دون أن يحيط بماهيته،

(أ) العقل Intellectus – وهو النوس vouc عند اليونان "[3]،وبالتالي فإنه يرى بأن الله موضوع المعرفة التي يحاول الذهن الوصول إليها وذلك بصورة عقلية وبتأمل داخلي وليس عن طريق مشاهدة المحسوسات الخارجية التي تدرك النفس من خلالها ان الله موجود ، ولذا فإن بتأملها الباطني تجد بأنها وصلت إلى معرفة كبرى ألا وهي معرفة الله ،وذلك كله عن طريق النفس التي تعلو لتصل إلى معرفة الوجود الإلاهي وتعود لتنزل وتساعد الذهن والحس على المعرفة .

---

[1] عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة ،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط1، 1984 ،ج1)،ص:91 .

[2] المرجع نفسه ،ص :91.

[3] المرجع نفسه ، ص ، ص :132، 133.

-" لكن هناك نصوصًا يبدو منها أن اسكوت اريجين يجعل الأولوية للعقل على النقل ، وللفلسفة على اللاهوت"[1] بحيث يرى أنه يمكن أن يصدر النقل عن العقل الحق ،لكن لا يمكن أن يصدر العقل عن النقل ، وبالتالي فإن الأولوية للعقل الذي يأتي بالحقائق والاكتشافات الجديدة حول العديد من المسائل.

ومن هنا يظهر جلياً بأن للمسحيين أمثال (أبيلار واريجين و ألبرت الكبير و توما الإكويني و أنسلم) الذين رأينا ولازلنا سنرى رأيهم حول العقل في المسيحية ،و هذا يبين أنه ليس لأوغسطين فقط نظرة حول العقل بل لكل فيلسوف مسيحي أو قديس نظرة حول العقل فما هو رأي ألبرت الكبير الفيلسوف اللاهوتى ؟.

وهو أستاذ للقديس توما الإكويني و له رأي حول مسألة العقل بحيث هو صاحب المبادرة المختلفة عن غيره ، إذ حاول تحديد ميدان للعقل وآخر للنقل وقام ، بجعل أنواعا من الحقائق تنتسب إلى الواحد ولا تنتسب إلى الأخر بحيث نجد العقل له إكتشافات متواصلة للحقائق عبر العصور أما حقائق الوحي فتأتي دفعة واحدة. وفي هذا يرى" فيما يتعلق بالدين و الأخلاق ، إذا اختلف أوغسطين مع الفلاسفة فينبغي تصديق الأول دون الآخرين . لكن إذا تعلق الأمر بالفيزياء ، فإنني أصدق أرسطو ، لأنه كان يعرف الطبيعة خير معرفة"[2].

ومع ذلك فإنه لم يطبق هذا المنهج رغم تصديقه له ولم يأخذ به بل بما يقوله النقل حين يتعارض مع العقل . فيقول مثلا بالخلق من القدم ، لا بفكرة الصدور التي تصدر عن الله ، و كأن العالم له بداية في الزمان ، و لا يقول بقدم العالم كما قال أرسطو و شراحه والفلاسفة المسلمون ونجد أيضا للقديس توما الإكويني رأي فإنه يرى بأن لكل إنسان عقل خاص به يتميز بتصرفات خاصة به ، وهذا ما يميزه عن الحيوان ولذا تتمايز نسب الإدراك بين البشر ولذا فإن توما الإكويني يرى :"بأن لكل إنسان يمتلك العقل فعلاً خاصًا به ،و هذا أمر يتعلق

[1] عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة ،مرجع سابق ،ص :133.

[2] المرجع نفسه ،ص: 218 .

بكرامة الإنسان إذا كيف يمكن أيضا تعريف هذا الأخير بأنه حيوان عاقل إذا كان لا يمتلك في ذاته و بصورة خاصة مايجعله إنسان ألا و هو العقل ".[1]

و أعطى القديس "توما" العقل دورا مهم في تكوين المعرفة اللاهوتية مثله مثل الفلاسفة والقديسين السابقين بحيث يعترف بأن للعقل دور مهم حتى في تفسير الأمور الدينية ، بعكس آباء الكنيسة الأوائل الذين يعترفون باللاهوت أو الإيمان فقط ،ولذلك يرى توما أنه " يمكن لبعض الحقائق الأخرى أن تدرك عن طريق العقل الطبيعي و منها وجود الله و وحدته "[2].

ومنه فالعقل يدرك الكليات ،فهي مرتبطة به كما رأى أرسطو ذلك ، أما الحواس فتدرك الجزئيات فقط ،وبالنسبة للإرادة فهي مرتبطة بالعقل كونها تدرك الخير الكلي ، لأن من خلال حديثنا هذا يمكن اكتشاف أن توما يعتبر العقل عقل بالقوة لا بالفعل كالملاك ،ومنه نجده يقصد بأن فكرة أننا ننتقل من المحسوس إلى المعقول حالة طبيعية في كل البشرية "فالعقل عنده عقل بالفطرة و بفضل طبيعته الخاصة لا يمكن أن يكون موضوعه المناسب سوى المعقول الخالص مثل الله فإنه لا يمكن أن يكون سليما إلا إذا كان على سبيل التشبيه فقط"[3].

أما بالنسبة لأوغسطين فقد اهتم كثيرا بدراسة و بحب الفلسفة خاصة بعد اطلاعه على كتاب "هورطانسيوس" لشيشرون وتعلق بحب الإطلاع على كتب شيشرون خاصة في مجال السياسة وهذا الكتاب قرأه وهو صغير أي في الثامنة عشرة من عمره وقبل أن يُفقد هذا الكتاب .

---

[1] مصطفى إبراهيم ، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي ، (دار النهضة العربية ، بيروت ،دط، 1993) ، ص :65 .

[2] ميخائيل ضومط، قادة الفكر توما الإكويني دراسة و مختارات، (دار الشرق، بيروت، ط3، 1992)، ص :192.

[3] إتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ،تر : امام عبد الفتاح امام ،(مكتبة مدبولي ،الكويت ،ط3 ،1996)،ص:365.

ولذا "فإننا نخطئ خطأ جسيما إذا نحن اعتقدنا أن في مقدورنا تقويم فلسفة أوغسطين تقويما علميا بمعزل عن تفكيره اللاهوتي ، ذلك أن تفكيره ما يفتأ منصبا على ما هو عيني إذ هو دائما تعبير عن تجربته الخاصة، وقد كانت هذه التجربة تخوله إلى المسيحية في نظره هي الفلسفة الحقة"[1] .

– ومنه يستطيع العقل بقوته الطبيعية أن يهتدي إلى الحقيقة بأكملها وان يتحرر من الأمور التي تضله والفلسفة بدورها ليس لديها القوة أن تحول النفس من المعرفة إلى العمل الفاضل مثل عمل الخير والعدل ، فالفلسفة بدون الدين المسيحي قاصرة ،كون الدين المسيحي هو دين الحكمة والعدل وهو يقدم لنا حياة سعيدة وصالحة ، في ظل وجود الإيمان بالله والتمسك بالمسيحية ،وذلك من أجل السعادة واكتساب الحكمة والعيش في النعم من خلال ما تقدمه لنا الأسرار المقدسة ولذا علينا بالإيمان والعمل به .

" فليس الإيمان عاطفة غامضة و تصديقا عاطلا من الأسباب العقلية ،ولكنه قبول عقلي لحقائق،.إن لم تكن مدركة في ذاتها كالحقائق العلمية ،وهي مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالتصديق، هم الرسل والشهداء، وبعلامات خارقة هي المعجزات، ليس ينفر الإيمان من نقد العقل مادام الإيمان لا يوجد إلا في العقل"[2].

[1] فؤاد كامل ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ترجمة ومراجعة: زكي نجيب محمود ،(دار القلم ، بيروت،دط،دت) ، ص :88.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص:30.

المبحث الثالث: مسألة العقل والنقل عند أوغسطين .

– إن للقديس أوغسطين تفسير عقلي للألوهية فيخبرنا أوغسطين أنه يعتبر الله مركز و محور حياته ، بحيث أن من ينكر وجود الله هو فقط ينكر ذلك من أجل تلبية شهواته ، وهؤلاء هم أ قلية فقط ،لأن وجود الله أمر بديهي للغاية ، ففكرة وجود الله تبدو واضحة جدا لأن من ينظر إلى المخلوقات في هذا العالم يعلم بأن الله موجود ،لأن هذا العالم الصامت إذا سألته من خالقه يجيبك بصمت أن الله خالقه .وفي هذا نجده يقول :" تنظر إلى الأرض و ما فيها من قوة و جمال، و كأنك تسائلها، و لما كان من الممتنع أن تكون حاصلة على هذه القوة بذاتها، فإنك تدرك حالا أنه لا يمكن أن توجد بقوتها الذاتية"[1].

و لذلك نجد بأن الله عند القديس أوغسطين هو محور حياته و أن كل ما هو موجود من مخلوقات في الأرض يدل على وجود خالق و قوة عظمى لا يمكن إنكارها لأنها واضحة إلا من أجل دوافع من الأهواء ،وإن الله موضوع سعادتنا فوق الأرض ولذلك لابد من الاعتراف بوجوده لأن هذا يعني أن الله مصدر المعارف والحقائق وأصلها ، ومن يريد أن يصل إلى هذه المعارف حقيقة وخاصة معرفة الله عليه أن يؤمن كي يصل إلى حل أي مشكلة حول المعارف والحقائق ،كون تجربته الخاصة قد أدت به إلى الوصول لمعرفة الله وليست معرفة الله من خلال براهين عقلية ، لا بل عن طريق شعور إيماني خفي قد قادته نحوى معرفة الله .

"والله– عند أوغسطين،(هو من هو) كما ورد في سفر التكوين. إنه الحق السرمدي الصمد، و هو الخير المطلق. و هو مبدأ كل وجود و يكفينا أن ندخل في ذواتنا، لنجد أنفسنا و نجد فيها الله "[2]و لذلك فإن الله موضوع معرفة سعى لها العديد من الفلاسفة و العلماء و القديسين كا "توما الإكويني وأوغسطين و ابن رشد "و

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص:33 .

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص: 250 .

في مختلف العصور من المسحيين وغير المسحيين ، ولذلك فقد ذهب ابن رشد و رغم إشادته بالعقل و نظره وقدرته على المعرفة يصرح بأن هناك أمورا يعجز العقل عن معرفتها، "فلنرجع إلى الوحي الذي جاء متمما لعلم العقل فإن كل ما عجز عنه العقل أفاده الله تعالى الإنسان من قبل الوحي[1] ".وبالتالى فإن العقل يجب أن يفهم ما جاء به الشرع ،لكن بالرغم من ذلك فإن هناك أمور جاء بها الشرع يعجز العقل على فهمها ،وبالتالي لكل منهما مجاله الخاص به ،ومنه فإن العقل والوحي يكملان بعضهما ، فإبن رشد الفيلسوف المتدين يعلي من شأن الوحي على حساب العقل ،لكنه لا يهمل دور العقل ،لأنه متأثر بأرسطو .

و لذا فإن ما جاء به ابن رشد و هو من بين أهم الفلاسفة المسلمين الذين ناقشوا مسألة العقل و النقل هو إنشاء علاقة طيبة بين العقل و الوحي و تثبيت هذه العلاقة على أسس متينة، وهذا هو ما يجب أن يقوم به الفيلسوف المتدين و كل هذا لا يمنع من معرفة ما مدى ارتباط العقل بالدين ؟و هل هناك أسبقية للعقل على الدين أو العكس ؟وهذا ما قد رأيناه عند القديس أوغسطين حين قال بأنه لم يشك في وجود الله فقد قال: "سألت الأرض فقالت لي (لست إلهك) كذلك أجابني كل حي على سطحها، سألت البحر و أغواره و الكائنات الحية التي تسرح فيه و تمرح فأجابتني (لسنا إلهك) بحثت عنه في الأعالي "سألت رياح الجو فأجابتني مملكة الهواء .....فهتفت جميعها بصوتها القوي "هو خالقنا" كان تأملي فيها سؤالاً و جمالها جوابًا"[2]. و من هنا أدرك أوغسطين فكرة الألوهية و بأن الله هو خالق السماوات و الأرض و المخلوقات تشهد له بذلك ،و لذا فإن التأمل العقلي لهذه المخلوقات استطاع من خلاله أوغسطين الوصول إلى معرفة الخالق أو الله. وبحث أوغسطين في ثقافات مختلفة عن مسار العقل للوصول إلى اليقين وكذلك بحث في أمور فلسفية مختلفة ومتعددة وهو قلق و روح الشك تسيطر عليه، لكن لم تقضي عليه وبالتالي عمل على التخلص منها فتنقل من الفلسفة إلى الإيمان فالإيمان

[1] محمد يوسف موسى، بين الدين و الفلسفة في رأي ابن رشد و فلاسفة العصر الوسيط، (ط 3، 1988)، ص :104.
[2] أوغسطين، الاعترافات، تر: يوحنا الحلو، (دار المشرق، بيروت، ط 4، 1991)، ص: 198.

هو: "روح ما يرجي من الأشياء و عربون مالا يشاهد منها .و إن فعله هو تصديق بما أوحاه الله، لأنه تعالى هو الذي أوحاه فسبب الإيمان هو سلطة الله الموحي ذاتها، و إنما يوحي تعالى ذاته بذاته، و ذاته تعالى هي التي يدركها الإيمان إدراكا مباشرا، و لكن عن مبعده" [1].

"فاللاهوت قائم بالفعل على الوحي و على الإلهام و الحقيقة الكاملة لا يمكن التوصل إليها في تركيبها النهائي أي في اللاهوت المقدس"[2].

و من هنا نجد بأن العالم اللاهوتي يجب أن يكون عالما بالنقل أو الإيمان ، و لذلك فإن أوغسطين انتقل إلى الإيمان بالحقيقة عن طريق المذهب المسيحي فابتعد عن الطريق الفلسفي البحت الذي يمنع بدوره الإيمان عن الوصول إلى فلسفة متدينة أو علم اللاهوت في المسيحية ونحاول معرفة الصلة بين العقل والنقل عند القديس أوغسطين .

وقد صادف أوغسطين مشكلة أخرى تعلقت بمسألة تداخل العقل والإيمان أو العقل والسلطة التي تعني الكتاب المقدس، وبهذا فإن هذه المشكلة قد صادفت كل من فلاسفة المسلمين والمسيحيين وغيرهم ، وقد كانت مشكلة طالت العصر الوسيط ،ولذا فإن العقل وحده لا يكفي للوصول إلى الحقائق ،وبالتالي ،" فالإيمان ضروري للتعقل كما أن التعقل ضروري للإيمان. لم يرضى أوغسطين عن منهج المانويين في الوصول إلى الكتب المقدسة عن طريق المعرفة العقلية المحضة و أراد الوصول إلى فهم ما يعلم عن طريق الإيمان بالكتب المقدسة"[3].

---

[1] لويس غرديه ،فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ،مرجع سابق ،ص،ص :65،66.

[2] زينب محمود الخضيري، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، (دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة،دط،1983) ،ص: 142

[3] حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص ،ص:13، 14 .

و هنا يعني أسبقية الإيمان على العقل و أن مهمة العقل هي تفسير حقائق الكتاب المقدس و لكن يبقى الإيمان سابق عليه و هو ما يراه أوغسطين في مدينة الله الجزء الأول بحيث: "الكتاب المقدس يدعو العقل إلى الخضوع لله، لتوجيهه و رعايته، و يخضع الشهوات للعقل لكي يضبطها و يروضها و يجعلها أسيرة البر"[1]. و بالتالي أوغسطين يخضع العقل للإيمان لأن الإيمان يدعو إلى ترك الشهوات و ضبط النفس و غيره من الأعمال و العقل بدوره يتحكم في هذا و يعقل الأشياء فالإيمان يزكي و يطهر الإنسان. "يخضع الإيمان الإنسان لله، و بذلك فإنه يدعو لحياة نقية، و للسيطرة على الشهوات و الحواس مما ينعكس على النفس فتزكوا. ثم إن الإيمان ،بنظره الذي هو المطهر والمنقي هو نعمة .وليست هذه النعمة إشراقا خارجيا للعقل ،بل بواسطتها يقوم في القلب حنين دائم "[2].وبالتالي الإيمان سبق العقل في شخصية أوغسطين وقد كان هذا إيمانا معقولا اعترف بسلطة الكنيسة قبل أن يعترف بها عقله.

ومنه فإن الصلة بين العقل و النقل ، بين العلم و الإيمان ، قد تحدثنا عنها من قبل .و هو يتلخص الصيغ الثلاثة الرئيسية التي يقول بها وهي :

"أن العقل يسبق الإيمان و أن الإيمان يسبق العقل ، و أن الإيمان للتعقل "[3].فالعقل قبل الإيمان من ناحية أنه يعطي للإيمان صبغة عقلية بحيث يعرف العقل نوع الحقائق التي يجب اعتناقها ، من ناحية وجوب الاعتقاد بها ، أو عدم وجوبه ، ولكن الإيمان يسبق العقل ، أي الإيمان يصبح موضوعا للعقل لكي يتعقله ويدركه . يجب أن يكون الإيمان في طريق إلى التعقل ، فلا يكون ساذجا بل مثبتا عن طريق العقل ويصبح مؤسسا عقليا ،ولذا على

[1] أوغسطين، مدينة الله، المجلد الأول ،مصدر سابق، ص :426 .

[2] على زيغور ، أوغسطينوس ، مرجع سابق ، ص :134.

[3] عبد الرحمان بدوي ،فلسفة العصور الوسطى ، (دار القلم ،بيروت ،ط3،1979)،ص :21.

الإنسان أن يتجه من السذاجة نحو التعقل ، فلا يكون إيمانا ساذجا ، بل إيمان عقليا وهذا ما جعل للعقل مكانة في العديد من المجالات .

ولذلك فإن أوغسطين حاول أن يوازي بين العقل و الاعتقاد بحيث العقل هو الذي يضبط تصرفات الإنسان ويبين قيمة الحقائق الإيمانية من ناحية الاعتقاد بها واجب أم عدم الوجوب ،ولذلك فإن علاقة الإيمان بالعقل عند أوغسطين علاقة تبادل أي ،أسبقية الإيمان على العقل ثم العقل على الإيمان لأن كليهما لا يتم مهمته بدون الأخر .

وإذا أحببنا الوصول للسعادة والحكمة علينا اعتناق الدين والإيمان به ،وبالتالي الحصول على السعادة لأن الإيمان هو تقبل العقل لحقائق منطقية وسليمة، لأنها صادرة عن سلطة أعلى من العقل وهي صادرة عن مصدر موثوق منه ألا وهو الله . كما أن الإيمان ينبع صدقه من خلال شهوده الرسل ومعجزاتهم ،ولذا فالإيمان ليس معارضا لعمل العقل ،بل إن حقائق الإيمان التي جاء بها لا تدرك إلا من خلال العقل الذي يبسط للناس فهمها ،بحيث ينزع عنها ذلك الغموض الذي يشوبها مثلها مثل الحقائق العلمية التي تدرك بالقبول العقلي إذا كانت غير مفهومة ، وإن الإيمان لا يعارض نقد العقل لأن الإيمان من نقد العقل ، ولا يوجد إلا فيه ، وبالتالي للعقل أسبقية على الإيمان من ناحية تسمى بالإستيثاق ،والتي تعني أن نتأكد وندرس تلك العلامات والشهادات ، وبالتالي التأكد منها ومن صحتها ومن أن العقل يكفي المعرفة اليقينية ، بحيث يستطيع الوصول إليها ،فالبحث والتفحص الدقيق حول اليقين يتقدم على تفحص الوحي والمعجزات أي "تعقل كي تؤمن "[1] وهذه هي مهمة العقل إذا سبق الإيمان ، فعلى الإنسان أن يكون عاقلا حكيما يفهم ويدرك ما الإيمان وكيف اعتناقه كي لا يبقى في حالة شك

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط،مرجع سابق ،ص:30.

كما حدث مع القديس أوغسطين ، وبالتالي فعلى الإنسان التعقل كي يؤمن ، ويؤمن لكي يتعقل ، وهو خلاصة العلاقة بين كليهما لأنهما يكملان بعضهما البعض .

الفصل الثاني :
تطبيقات العقل عند أوغسطين

- المبحث الأول: نشأة العالم.
- المبحث الثاني: نظرية المعرفة .
- المبحث الثالث: السياسة و الأخلاق .

تمهيد:

إن مسألة العلم ، و المعرفة و السياسة عند أوغسطين هي من أهم المسائل التي تناولها أوغسطين بالتفسير و المناقشة ، وذلك لما رآه من أهمية كبيرة للموضوع و بالتالي أردنا في هذا الفصل عرض أهم المسائل التي تعرض العقل لدراستها وذلك لعلاقتها بالموضوع فنجد العقل عند أوغسطين مسألة شائكة لكي يفصل بينها و بين النقل أو الإيمان وبالتالي تدّخل العقل في العديد من المواضيع أهمها التي سبق ذكرها مثل مسألة خلق العالم وكيف كان ذلك ولماذا ومتى و أين وهذا ما قد فّكر فيه العقل البشري و تدّبره ولذلك سيتم عرض هذه المسائل في الفصل الثاني لإبراز هذه المسائل ومدى تفسير العقل لها .

المبحث الأول : نشأة العالم

بعدما تطرق أوغسطين إلى مسألة العقل التي كانت بمثابة الخطوة المتميزة التي حاول من خلالها أن يحُل العديد من المشاكل التي تراوده من خلال تأثره بالأفلاطونية المحدثة ،تطرق كذلك إلى مناقشة مسألة أخرى كان الشك يراوده حولها و هي مسألة الإيمان أو الله، وبهذا نجد القديس أوغسطين قد حاول مناقشتها وبدوره نجح حسب المسيحية إلى حد بعيد في برهنته على وجود الله ،ومنه كذلك أراد أن يبين قدرة الله على الخلق فتطرق إلى مسألة أخرى وهي نشأة العالم بحيث أدرك من خلال تفكيره العقلي بأن الكون أو العالم أو الموجودات لم تخْلق ذاتها .ولذلك نحاول معرفة الفكرة التي تحّدث عنها أوغسطين حول العالم الذي ضنّ " أفلوطين و المانويين بأن العالم ليس صادرا عن ذات الله صدورا ضروريا أزليا"[1] لأن الله هو الكامل و الثابت و اللامتناهي، وجب إذن إبراز بأن هذا الذي فكر فيه أفلوطين و المانويين ليس كذلك لأن الذات الإلاهية لا تتجزأ و لا تتغير، لكن السؤال المطروح ماذا كان الله يفعل قبل الخلق ؟ وفي هذا السؤال نجد بعض العبث أي أنه " عبث لا طائل تحته، فإن إرادة الله أزلية ، و فعله أزلي بلا منازع ،ولا يوجد قبل وبعد إلا في مفعولاته"[2]. "فأوغسطين يقرر أن الله قد خلق كل شيء ، و أن لا مؤضع للحديث عما كان يفعله الله قبل الخلق"[3] ثم إن الله قد خلق العالم و أوجد الزمان فعند " أوغسطين أن العالم لم يُخلق في الزمان ، بل مع الزمان"[4] وبهذا فإن "أوغسطين يقرر بأن الله لم يخلق العالم فحسب بل هو قد خلق الزمان أيضا، إن الزمان نفسه لابد أيضا من أن يكون مخلوقا، إذن الزمان لا يمكن أن يكون أزليا "[5] ولذلك نجد بأن الزمان هو من عمل النفس بحيث نجد للنفس ماضي وحاضر ومستقبل ،وبالطبع هذا ما يراه أوغسطين حول فكرة الزمان و علاقته بالنفس فهي

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط،مرجع سابق ، ص: 42.

[2] المرجع نفسه ، ص :42.

[3] زكريا إبراهيم ،اعترافات القديس أوغسطين، مرجع سابق ، ص،ص :46،47.

[4] أرمسترونغ ، مدخل إلى الفلسفة القديمة ، تر :سعيد الغانمي ، (كلمة ، أبو ظبي ،ط1 ، 2009) ، ص :276.

[5] زكرياء ابراهيم ،اعترافات القديس اوغسطين ، مرجع سابق ، ص: 46.

"تتذكر وتسترجع ، أو تنتظر وتتوقع أو تنتبه وتستجمع "[1] ولذلك نجد بأن الزمان متعاقب بالذات وهذا لا يعني بأن المتعاقب هو لامتناهي بل هو محدود مهما بلغ أو فرضنا له من مقدار.أما السؤال التالي فهو:

لماذا أراد الله خلق العالم ؟إن هذا السؤال بدوره عبث إذا كان السؤال يحاول البحث عن علة سابقة عن إدارة الله " العلة الوحيدة للأشياء هي إرادة الله ، و الله هو علة كل شيء ، وليس له علة تحدد فعله "[2] ومن خلال كل هذا لازال الكثير من الأسئلة التي هي في الحقيقة تتبادر إلى أذهاننا حول نشأة العالم و البحث عن الحقيقة فلِما خلق الله العالم في هذا المكان ولم يخلقه في مكان أخر ؟ " الواقع أن لا وجود للمكان دون العالم ، ولا وجود للزمان دونه و المخيلة هي التي تتوهم زمانًا ومكانًا مستقلين عنه ، فالقول بأزلية العالم ، حتى مع القول بالخلق ، مضاد للعقل مضادته للوحي "[3] ولذلك فإنه لا وجود لزمانٍ ولا مكانٍ مستقل عن العالم فوجود المكان هو بوجود العالم وكذلك الأمر بالنسبة للزمان ومثل هذا التخيل هو كذلك عبث لأن مشيئة الله أعظم من هذا بكثير ،و أن مثل هذا الافتراض يُنزل من مستوى الخالق إلى مستوانًا كما نجد بأنه " لما كان الله خيرًا ، فإن خيره لم يسمح بأن يبقى في العدم صنعاً خيرًا ، و العالم حسن ، بدليل أنه ورد في سفر التكوين أن الله تأمل ماصنع بعد أن خلق العالم فوجده حسنا "[4] وهذا يبين بأن الله أراد خلق العالم بإرادته ففعل ووجد بأن خلق العالم هو أمر خير و الله يعلم أكثر من المخلوق ولهذا لايمكن أن نتساءل :لماذا خلق الله العالم ؟ لكن الإنسان بطبعه يحب أن يتساءل ليعرف ويتوصل بإعمال العقل إلى نتائج مُرْضية ،لذلك يطرح السؤال ويبحث عن الحقيقة كأن يسأل كيف خلق الله العالم أو كيف كان الخَلق ؟: إن اوغسطين يؤمن بأن الله هو من خلق الكون كله سواء الروحي أو المادي ولذلك فإنه لا وجود لهذه المخلوقات بدون الخالق أو الله غير أن

---

[1] زكريا ابراهيم، اعترافات القديس اوغسطين،مرجع سابق، ص: 48.

[2] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة،مرجع سابق ، ص:250.

[3] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص: 42.

[4] عبد الرحمان بدوي ،موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ، ص :250.

هذا الأمر يعني بأن الله قد أوجد أو خلق جميع الموجودات ،إلا أنها ليست منه فلو كانت منه لكانت شبيهة أو متماثلة معه وهذا ليس صحيحا لأن الله ثابت و أبدي و أزلي، غير أن هذه المخلوقات غير ثابتة و تتغير وليست بأزلية ولهذا يرى اوغسطين بأن هناك " إفتراضين حول نشأة العالم .إما أن الله خلقه من العدم ، و إما انه إستخلصه من جوهره"[1].

إن الافتراض الثاني ألا وهو أن الله خلق العالم من جوهره ،هو خاطئ وباطل لأنه يعني بأن الجوهر الإلاهي فإن العالم أزلي وثابت مثله مثل الخالق وهذا غير صحيح ،ويبقى الاحتمال الأصح هو الفرض الأول بأن الله خلق العالم من العدم ،وليس أنه من جوهره ،كما يرى أوغسطين في كتابه الاعترافات هذا الأمر " يا من في البدء المنبثق منك وبحكمتك المولودة من جوهرك قد خَلقت من العدم"[2] أي أن " الله هو الوجود الحقيقي الذي لا يتغير ...و أن الكون مخلوق من العدم وهو يتجه بإستمرار إلى السقوط في العدم "[3]وبهذا فإن أوغسطين يقِر بحقيقة أن العالم هذا الذي خلقه الله إنما خُلق من العدم و بإرادة الله لكن من أين صنع العالم نجد كذلك لهذا الطرح أو السؤال جوابا عند أوغسطين الذي شرح هذه الفكرة " الخلق من العدم ، لكن يبين لنا أن المادة التي تحدث عنها سفر التكوين هي نفسها من خلق الله .وهو يفسر كلمة الأرض بأنها المادة العارية من الصورة تمامًا ، بينما نراه يفسر السماء مادة روحية مكتملة الصورة وهي(المادة التي صنعت منها الملائكة)كما قد خلق المادة مشبعة بطائفة من الصور... وهذه المادة شيء لكنها أقرب الأشياء إلى العدم أو اللاوجود"[4]وكذلك نجد بأن اوغسطين يميز دائمًا بين الأرض و السماء أي بين عالميين مختلفين عالم الأرض الفاسد الذي يتغير وهو عالم سينتهي لا محال وعالم السماء الذي تبقى فيه المخلوقات خالدة كما إن المادة

[1] عبد الرحمان بدوي ،موسوعة الفلسفة،مرجع سابق، ص: 250.

[2] أوغسطين ، الاعترافات ، مصدر سابق ،ص: 269.

[3] إتين جلسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص،ص:103،104.

[4] زكريا ابراهيم ، اعترافات القديس اوغسطين ،مرجع سابق ، ص:49 .

التي يتكلم عنها اوغسطين قد حاول أن يوضحها اكثر بحيث يرى " أن الله لا يخلق الصورة الكامنة في المادة فحسب ، بل المادة التي تشكلها ، فَخَلقُ المادة و الصورة خلقٌ متزامن ، لأن المادة لا يمكن أن توجد بلا صورة "[1]وهذا يعني حسب أوغسطين بأن العالم يتكون من مادة وصورة وهذه الأخيرة أي تسمى عند اوغسطين صورة الأشياء المخلوقة ب (الأعداد) ويصر بأن جميع المخلوقات لا وجود لها ولا خير فيها ،إلا انها تتألف من وحدات منظمة ومنسجمة ولذلك فإن الله موجود ومايثبت وجوده هو خلقه للموجودات التي لا تستطيع إثبات وجودها ولذلك تحتق بأنها مخلوقة ، وكذلك نجد بأن (العلل البذرية) أوما يعرف عند اوغسطين ب :(الأعداد)و"تعني انها مبادئ مكونة غرسها الله في المادة عند الخلق كالبذور "[2] أي تكَمِل تكوين الأشياء لكن ليس دفعة واحدة وبهذا يصبح العالم "كما يتصوره اوغسطين هو هيولي تسري فيه الصور الإلاهية وهو لهذا اقرب إلى العالم كما تصوره أفلاطون و أفلوطين ،منه الى تصور أرسطو للعالم وكل ما في الكون نظام وقياس و عدد.وأشكال الأجسام ترجع الى أصناف من النسب العددية"[3]ولذلك فإن في طرحنا للأسئلة نجد لها إجابة عند اوغسطين فكيف تمت عملية الخلق ؟،وكم كان وقت خلق العالم بالنسبة لأوغسطين أو بالنسبة للمسيحية ؟ "كما جاء في القصة الواردة عن سفر التكوين التي تحدثت عن ستة أيام في عملية الخلق "[4] لكن يجب أن يُفهم بأن هذه الأيام السِت على أنها يوم واحد فقط أو هنيهة أما الحديث عنها على أنها ستة أيام فهذا فقط لكي يبسط الأمر بالنسبة إلى مخيلتنا الضعيفة بحيث تستطيع أن تفهم ماذا يقصد بالأيام الستة فقط فهي ليست أيام كأيامنا " إن السنوات التي تبدو لك طويلة ، قصيرة هي بعين الله ،

[1] أرمسترونغ ،مدخل الى الفلسفة القديمة ،مرجع سابق ، ص :275.

[2] المرجع نفسه ،ص :276.

[3] عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة ،مرجع سابق ، ص:250 .

[4] علي زيغور،اوغسطينوس ،مرجع سابق ، ص:163.

لأن الله لا يحصيها كما تحصيها أنت "[1]وبهذا يتضح بأن خلق الله ليس كخلق البشر، أو كما يخلق البشر ونجد بأن مسألة خلق العالم في ستة أيام قد قسمت باليوم من ناحية الخلق، فتنوع الخلق يكون حسب الأيام ومنه نجد بأن هناك روايتين في الخلق يقول "موريس بوكاي يلاحظ الأب ديفو أن سفر التكوين يبدأ بروايتين عن الخلق كل منهما موضوعة بجانب الأخرى .

وتبين الرواية الأولى أن الله خلق السماوات و الأرض ، ثم خلق النباتات وخلق الشمس و القمر و الكواكب و النجوم ، ثم خلق الطيور ، فالحيوانات ، و أخيرا خلق الله الإنسان الذي هو رأس الخليقة .

و في الرواية الثانية للخليقة نجد أنفسنا و كأننا أمام قصة أخرى رُوِيت في كتاب آخر ، حيث إنها تبدأ بخلق الإنسان بعد خلق السماوات و الأرض ، ثم خلق النباتات ،فالحيوانات "[2].

ومن هنا يظهر لنا عدم الإتفاق في المسيحية حول الأولوية في الخلق بين الإنسان و المخلوقات الأخرى وكذلك نجد في الكتاب المقدس ، " في البدء خلق السماوات و الأرض "[3]. وفي هذا نجد أن الله حسب رأي اوغسطين هو خالق السماوات و الأرض ،خلقهما في البدأ أي أولاً بحيث " كانت الأرض خربة خالية وعلى وجه القمر الظلام"[4]بمعنى أن السماء و الأرض كانتَا خاليتين من المخلوقات (بحيواناتها ونباتاتها ومن الإنسان كذلك) ،وبعد كل هذا من الخلق جاء الخلق " في اليوم الثاني بعد أن خَلقْت النور ، إذا قلت : "فليكن" وكان! ، هذا الفلك سميتَه سماءاً: سماء هذه الأرض وسماء هذا البحر ، كونتَهما في اليوم الثالث بإعطائك شكلاً ظاهرًا للمادة التي لا شكل لها وهي المخلوقة قبل كل الأيام ، لقد خلقت سماءاً ، قبل بدأ الأيام " [5]

---

[1].أوغسطين ، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، تر : يوحنا الحلو ، (دار المشرق ، بيروت ،ط7 ،2004)،ص:32.

[2]أحمد علي عجيبة ، الخلاص المسيحي و نظرة الإسلام إليه ، (دار الأفاق العربية ،دم، دط، دت)، ص: 118.

[3]الكتاب المقدس، سفر التكوين ،الأية 01 ، (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ،1997).

[4]أوغسطين ، الاعترافات ، مصدر سابق ،ص :274.

[5]المصدر نفسه، ص: 270.

ومن خلال كل هذا يظهر لنا بأن ماجاء به أوغسطين من خلال كتابه الاعترافات يعني بكلامه إن أول المخلوقات كانتاَ الأرض و السماء ،بحيث نجده يعني بأن الأرض خربة خالية أي لا وجود للإنسان و لا الحيوان و لا النبات و لا لأشياء جامدة عليها ، أي لم تدب الحياة فيها بعد ، منه فإننا نجد اوغسطين كذلك يرى " انه يذكر خلق الكواكب في اليوم الرابع ، وكيف تكون أيام وليالي بلا شمس ؟! و أن يوماً واحدًا يمثل زمن تكاثر الحيوانات على وجه الأرض ، .... و أن الله استراح في اليوم السابع "[1]ونجد هنا بأن كما ذكرنا سابقًا الأيام التي نقصدها نحن ليست نفس الأيام التي خلق الله بها العالم ،لأن خلق العالم لا يستغرق لحظة من عند لله لخلقه و أن الله لا يستريح بالمعنى الذي نفهم به نحن صيغة هذا المصطلح ،لكن الله إستراح بمعنى توقف عن الخلق لأنه خلق كل ما كان يريد خلقه ،وبهذا نجد بأن الله ليس كالبشر يتعب من العمل أو الخلق و الإنشاء كي يستريح ، ثم يعود لعمله لا بل إن الله توقف عن الخلق فقط ،كما إن الله خلق بعض الأشياء بقوة "كالملائكة و النور والجلد و العناصر الأربعة و الكواكب ونفس الإنسان الأول "[2]أما الأشياء المخلوقة بالقوة و هي الكائنات الفاسدة " وتشمل النبات و الحيوان خلقها الله في أصول بذرية " [3] وهذا ما سبق لنا ذكره ،ومنه فمن كل جيل يخرج جيلاً آخر على مرِّ الزمان حتى الوصول إلى آخرِ الدهر وهو نهاية العالم لدى القديس أوغسطين ،وبهذه الطريقة خلق جسم آدم في أصوله بمعنى أن آدم هو الأصل وما تفرع عنه من البشرية هم الفرع الأول لكل مخلوق أصل يتفرع عنه ومنه خرجت حواء من ضلع آدم و هذا الأمر خارج عن ما نألفه ولكن ليس خارق للطبيعة فإن الله هو من خلق العالم وخلق قوانين تنظيم الكون ،ولذلك فإن الله لا يمكن أن يخرق قوانين الطبيعة أو يكون ضد هذه الطبيعة من خلال خلقه لأي شيء ولكن الفصلين الأولين من سفر التكوين نجد فيه الرأي الأول أن حواء خلقت من ضلع آدم و الرأي الثاني آدم وحواء خلقاَ بفعل واحد أي

[1] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 42.
[2] المرجع نفسه ، ص: 43.
[3] المرجع نفسه ، ص: 43.

الخلق البذري وبهذا أوغسطين نجده أخذ هذا "عن نظرية الأصول البذرية عند الرواقيين جعلوها في العقل الإلهي الحال في مادة العالم ، وعند أفلوطين في نفس الكلية ،فجعلها هو جزءا من العالم السفلي "[1]ومن خلال كل هذا نجد بأن عملية خلق العالم قد طالت خلق الله للإنسان ويُعتبر آدم أول خلق الله ومنه خلقت حواء وهذا ما نجده في المسيحية و بالأخص عند أوغسطين " خلق الله الإنسانية بحيث تكون وحدة واحدة ، ولذا تُصور لنا العقيدة خلق الله للإنسان بأنه خلق بداية آدم ، ثم خلق حواء من أحد ضلوعه تأكيدًا على مفهوم الوحدة فلما أخطا آدم ازدوجت هذه الوحدة إلى عنصرين الخير و الشر "[2]وبنزولهما الأرض بدأ يظهر الخير و الشر وذلك من قصة قابيل و هابيل ونجد كذلك في القران الكريم مايقوله سبحانه وتعالى " **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)**"[3].(سورة البقرة).ومن خلال كلام الله حسب الآية الكريمة يتضح بأن حواء خلقت من ضلع آدم و أن إنزالهما من الجنة إلى الأرض ،وهنا نزلاَ إلى الأرض لأن الشيطان وسوس لهما فارتكبا خطأ أكلِهما من الشجرة التي أوصاهما الله عليها "ولم يكن آدم وحواء ليُخطأ لو لم يبدآ بالاغتباط بنفسهما حين وسوس لهما الشيطان بأنهما إن أكلا من الشجرة المحرمة

[1] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق،ص :43.

[2] زينب محمود الخضيري ، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ،(دار قباء ، القاهرة ،دط، 1997) ،ص: 141.

[3] القرآن الكريم ، سورة البقرة ،الآيات :35،36،37،38،(دار ابن الهيثم ، القاهرة ، 2007).

صارا كإلهين ، فالإرادة علة الخطيئة " [1] .وبهذا نجد بأن هذه الخطيئة عند المسيحية هي بداية الشر فإذا قبلَت إرادة الإنسان توجيه الله لها نحو الخير فتكون إرادة خيرة بمعنى تفعل الخير لأن الله هو الذي يوجهنا نحو الخير لكن وبهذا فإن الإرادة كما ذكرنا علة الخطيئة بمعنى أن الخطيئة عدم محبة الله في إرادتنا ،و الخير و الشر تقيدهما الإرادة لأن الله خير و يوجهنا دائماً نحو الخير و الله أعطانا حرية و إرادة وهذه الإرادة إذا قبلت التوجيه نحو الخير يكون ذلك أمرًا خيرًا و إذا رفضت ذلك التوجيه يصبح أمرًا فيه شر كما نحاول التساؤل كيف أعطانا الله حرية تخطئ؟

وهنا يصبح الله هو المسؤول عن الشرور لكن لا يوجد الشر خارج الخير " إنه لكمال أن نقْدر على العمل باختيارنا ...كما ان الشر الطبيعي الذي يحس به الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب العمل باختيارنا كما أن الشر الطبيعي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة و العقاب عليها "[2]وبهذا فإن هذا الشر إحساس يحس به الإنسان كأن نقول تأنيبُ ضميرٍ للإنسان على فعل ناقص فعله ،فالتمرد على نظام الكون الخيِر يسبب للفرد نقص في كيانه غير أن لديه فائدة "فهو عند الحكيم يكمل خبرته وحكمته ويستحق له ثوابا ، وعند غير الحكيم هو طريق الحكمة ، وعند الشرير هو عقاب عادل "[3]ومن هذا كله نفهم بأن الشر لا يمكن أن يوجد خارجًا عن الخير ،لأن العالم من صنع الله و الله خير في ذاته وكل مايصدر عنه خير لكن الشر هو نقص في كيان المخلوق فقط و الله قد زود المخلوقات البشرية بالإرادة و الحرية ،وبهذا يتصرف الإنسان حسب مايوجهه الله بإرادته لكن إذا حاول أن يخرج عن إرادته الخيرة فإنه يسقط في الخطيئة وهذا ما حاولنا أن نناقشه من خلال نشأة العالم وصولا إلى خلق الإنسان الأول أو آدم وحواء إن صح التعبير .

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص :45.

[2] المرجع نفسه ،ص: 46.

[3] المرجع نفسه ،ص: 46.

المبحث الثاني : نظرية المعرفة .

إن موضوع المعرفة موضوع نال اهتمام أوغسطين خاصة معرفة الله و نجد المعرفة تعني : "مثول موضوع فكري معين، حقيقي أو واقعي، أمام العقل . هذا الموضوع يمكنه أن يكون شيئا آخر غير العقل ، أو العقل ذاته (أو إحدى خواصه، أو أحد أفعاله)، لكن شرط أن يُنظر إلى هذا الموضوع الفكري بصفته معروفاً، معلوماً، و بوصفه متمايزاً شكليًا على الأقل، من الفكر الذي يعرفه "[1] . ولذلك فإن العقل ينبع عنه العديد من المعارف التي يتحققها لأن إدراك الشيء هو معرفة و هناك فرق بين المعرفة و العلم بحيث نجد " أن المعرفة إدراك جزئي، و العلم إدراك كلي، و أن المعرفة تستعمل في التصورات و العلم في التصديقات . و لذلك تقول عرفت الله دون علمته، .... من أجل ذلك وُصف الله بالعلم لا بالمعرفة، فالمعرفة أقل من العلم" [2] و من خلال هذا كله يظهر بأن الله هو أصل و مصدر المعرفة كلها و الذي يتدبر في الكون أو العالم كما سبق و أن ذكرنا يُدْرك وجود الله بالعقل و يدرك أن العالم صادر عن الله إذن كل ما هو في العالم من معارف و علوم مصدرها و أصلها من الله ،و ذلك ما نجده في الكتب المقدسة "فما أشقى الإنسان الذي يعرفها كلها و يجهلكَ"[3] بحيث أن الإنسان الذي يكون عالمِا بجميع المعارف لكن يجهل وجود الله فهو إنسان شقي لا يعرف المعنى الحقيقي لهذه المعارف ، فهي معارف دنيوية لكن ماذا عن المعارف الأخروية و لذا فإن نظرية المعرفة كما ذكرنا "تبحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدركة و الموضوع المدرك، أو بين العارف و المعروف"[4] و بهذا فإن أول عرض لنظرية المعرفة لدى القديس أوغسطين و ذلك بعد إيمانه و تعقله و اعتناقه

---

[1] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، (منشورات عويدات، بيروت، ط 2 ، 2001، مجلد 1)، ص: 208.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج2، مرجع سابق، ص: 392 .

[3] André cressou, saint augustin, savie, Son œuvre, Sa philosophie, (Paris presses universitaires de France, 1957, p 61).

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي ،ج2، مرجع سابق، ص: 478.

للمسيحية هو نقده للمذهب الشكي و الرد على الشكاك لأن هذا المذهب عرقل طريقه في البحث عن الحقيقة و بذلك "يحمل أوغسطين على الشكاك، و خصوصا على رجال الأكاديمية الجديدة، و على رأسهم (كرنيادس) ممن ينكرون إمكان إدراك الحقيقة. و يقول (إذا كنت أشك فأنا موجود)أي "Si fallo . Sum"[1] و الله عند أوغسطين كما سبق لي الذكر هو مبدأ المعرفة ، بحيث نجد أن الله توجد فيه الحقائق الأزلية "ففيه إذن و به وحده يمكننا معرفة كل الأشياء إذ هي تجد سندها و أصلها في الله "[2] وبهذا يتصدى أوغسطين لهذا المذهب الذي يقول بعدم إمكانية بلوغ الحقيقة ، أو اليقين ولذلك يدعو أوغسطين إلى عدم اليأس من معرفة الحقيقة ، و التمسك بكل بحث يستهدف المعرفة وتشتمل هذه " المعرفة على نوعين من المدركات : مدركات مادية و أخرى معنوية "[3] وهنا نجد بأن أوغسطين يعني بالمدركات المادية كل ما يتعلق بالنفس و الجسم من عملية تأثر وذلك من خلال كل مايحدث في الجسم من تغيرات و هذه التغيرات هي جسمية وبدورها النفس تدرك مايحدث من تغيرات طرأت في الجسم ،و منه فإن الجسم لا يؤثر في النفس ،بل هو فقط شعور أو نداء للنفس كي تدرك مايحدث في الجسم و تحاول أن تقوده وتحسن تدبيره ، ومنه فإن أوغسطين يتمسك برأيه حول الادراك يكون بالنفس وليس بالحواس و الدليل على ذلك هو الاحساس الذي يرتبط بالنفس "إن العين ترى ويقول : إن هذا يجوز للذين يعتقدون أن الاحساس فعل جسمي أي من خلال الحواس لأن أوغسطين في بداية مسيرته أي المرحلة الأولى كانت لديه المعرفة الحسية و أنه عندما كان يبحث عن المعرفة في البداية أي معرفة الحقيقة ركن إلى الحواس و رأى بأنها المصدر الرئيسي للمعرفة وبهذا كانت لديه الحقيقة المحسوسة وهذا لما كان يعتنق المانوية التي كما يرى أضلته تسع سنوات " إن تصوري إلهي في شكل بشري على

[1] عبد الرحمان بدوي،موسوعة الفلسفة،مرجع سابق ، ص: 250.

[2] المرجع نفسه ، ص: 250.

[3] يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق ، ص: 38.

مثال جميع الكائنات ، كان السبب الرئيسي و الوحيد لضلال المحتوم "[1]. وبذلك كان يرى أن إدراك الأشياء يكون عن طريق الحواس بأنواعها (بالبصر و السمع و الشم و اللمس) ولذا لكل فرد حواس خاصة به إذًا لكل فرد معرفة خاصة به و احياناً نتفق على نفس المعرفة ،لكن كما سبق لنا ذكره فإن أغسطين تخلى عن هذه النظرة لينتقل إلى أن المعرفة تكمن بالإدراك الذي تتحصل عليه النفس من الجسم ،و هذا لايعني أن الجسم يؤثر في النفس لأنه لا يمكن للأدنى على الأعلى فالجسم يستقبل المؤثر و النفس تنتبه عليه مثال : أن تحس النفس بأن الجسم بحاجة إلى الغذاء فيتكون لدى الجسم إحساس بالألم بمعنى الطعام الذي هو موضوع يؤثر على الجسم يُوَلِد ألماً للجسم تنتبه عليه النفس وبحضور الطعام تنتبه للذّة ، وبهذا نجد اوغسطين يستخرج الدليل ضد المادية و أن الإحساس فكر و بهذا نجده يرى " إذا كان إدراك الأجسام وظيفية لا جسمية ، فقد بلغنا إلى النفس منذ النظر في الإحساس "[2] ومنه نجد بأن أوغسطين إكتشف بأن المعارف الحسية غير ثابتة ولا يمكنها بلوغ الحقيقة و المعرفة اليقينية وبهذا نجده متأثراً بأفلاطون الذي بدوره يرى بأن العالم الحسي لا يمكنه بلوغ الحقائق اليقينية، أما عالم المثل فنجد بأنه موضوع العلم اليقيني ولذا فإن أوغسطين إرتمى في حضن المعرفة الأفلاطونية هرباً من وساوس الشكاك وبالتالي فإن أوغسطين إتبع افلوطين الذي يرى بدوره بأن هراقليطس الذي رأى بأن العالم المحسوس ملئ بالمتناقضات " لا نصل إلى حقيقة أصلية عن طريق حواس الجسم"[3] ولذا " الحقيقة ضرورية وثابتة لا تتغير لكن لا شيء ضروري أو ثابت لا يتغير في النظام الحسي، ومن ثَم فإن الأشياء الحسية لا يمكن أن تؤدي بنا إلى أية حقيقة "[4].

---

[1] اوغسطين ، الاعترافات ، مصدر سابق ، ص: 92.

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الاوربية ،في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص: 38.

[3] إتين جلسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 294.

[4] المرجع نفسه ، ص: 294.

وبهذا لا يصلح العالم الحسي إلا كأساس للظّن أي يتغير بين الوجود و اللاوجود ولهذا أوغسطين يقول ،" كل مايصل إليه المرء عن طريق الحس ، وما نسميه بالمحسوس ، لا يكُف لحظة واحدة عن التغير .ابتداءًا من الشعر الذي ينمو فوق رؤوسنا ، أو عنفوان الشباب إلى هرم الشيخوخة .... كل مالا يبقى مستقر لا يمكن إدراكه ، لأن معنى الإدراك هو الفهم عن طريق العلم "[1] ولذلك انتقل أوغسطين من هذا إلى أن نصل إلى داخل النفس بحيث نخلق انسجام عقلي الذي تكون فيه الأفكار حقيقية و أبدية و ذلك كله من خلال العقل الذي يحكم على الحواس و ما تنقله من تنبيهات خارجية ،فمثال أن العين ترى العصا المغروسة في الماء أنها مكسورة لكن العقل يدرك بأنها ليست كذلك و بهذا ، فالعقل يحكم على ما تنقله الحواس ،و العقل هو الذي يدرك المعارف و الحقائق المنقولة من طرف الحواس .فالعقل هو الذي يحكم بأن السمع يكون بالأذن لا بالعين أو اللسان و العكس في جميع الحواس فإن العقل هو الذي يحكم و يدرك على عمل كل حاسة و بالعقل نستطيع أن نعرف الشيء عند سماع اسمه دون أن نراه في تلك اللحظة ،و لهذا كانت المعرفة العقلية أجدر من المعرفة الحسية من ناحية حكمها على المعارف فالعقل أسمى ما يملك الإنسان فهو أعلى درجة من الحواس كون الناس مختلفين في الحواس و لذا يختلفون في المعارف و تكون المعارف متغيرة و نسبية. "ولما كان الناس مختلفين في الحواس لزم عن ذلك اختلاف الآراء و المعارف الناجمة عنها، و بالتالي فالحقائق نسبية و لا وجود لمبدأ ثابت للمعرفة" [2] و لهذا سبق العقل الحواس في المعرفة و أصبح أعلى درجة منها و منه فالعقل هو أسمى من الحس و لذا يرقى الإنسان من الوجود إلى المعرفة ، و من ثم إلى العقل للبحث على مبدأ ارتكاز يتجاوز العقل من خلاله نفسه ليصل إلى معرفة أعظم و هي معرفة الله ،فالله "هو العلة الكافية لكل حقيقة تحضر في الذهن" و بالتالي فإن مشكلة وجود الله متصلة تماما بمشكلة المعرفة و لهذا فإن من يتدبر في الكائنات

[1] إتين جلسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 294.

[2] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين و بروكلس، (دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1991)، ص: 53.

و النظام الذي تسير عليه المخلوقات فإنه يرتقي إلى معرفة أن لها خالق و لذلك فإن العقل "يدرك أنه أمام ما هو أرفع منه و من الإنسان، و أنه أمام الخالد، الثابت، المستقر و الضروري .... عندما يرى العقل الحقيقة، فإنه يرى أمامه قانوناً أرفع، و طبيعة ثابتة و خالدة هي الله "[1] . ولذا نجد بأن أول المعارف عند أوغسطين هي معرفة الله فالذين لا يعرفونه فاسدون و ضالون لأن معرفة الله و كماله و معرفة أن الله خالق لكل المعارف الدنيوية كونه هو الكامل و بالتالي على الإنسان أو العارف أن يدرك بالعقل و التدبر وجود الله و من ثم وجود المخلوقات ومن ثم المعارف التي يكتشفها الإنسان وذلك كله نابع عن الكمال الإلهي "لنحتفظ لله بالكمال اللائق به " [2] فالله كما رأى أرسطو " واحدا ، وبسيطا .وعقلا محضاً .وحقا محضًا ، وفعلا محضًا ، وعاشقاً ، وسعيدًا و ثابتاً ، و أزلياً وأبدياً ... عالماً بالغير و قادراً ومُريداً "[3] وهكذا فإن أوغسطين يرى أن الله هو الحقيقة الخالدة خالق كل الموجودات ، الذي يعني الوجود الكامل والخير المطلق و الدائم و هو الحقيقة الكاملة و المعقولة ، وهو مبدأ كل معرفة و كل وجود ولذا كما يرى اوغسطين بأن حكمنا على الأشياء بأنها كلية أو ضرورية يعود إلى ما يسمى بالإشراق الإلهي عند أوغسطين أي أن الله نور وشمس تشرق على النفوس لتصل إلى المعرفة بل إن الله هو الوجود الحقيقي و أن الكائنات ليست إلا للوجود و مخلوقة لذا نجدها تتغير ." سألت الأرض ... سألت البحر و أغواره و الكائنات الحية .... وكلها كانت تقول " لسنا الله ،ثم هو خالقنا "[4] فالله هو" النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان أتي إلى هذا العالم "[5] ولذلك نجد بأن الله هو شمس معقولة و أنه شمس العقول .قبل كل شيء ، لإظهار أن الله هو المعلم الباطني ، لأن اوغسطين مثله مثل الفلاسفة المسلمين كما سنرى لاحقاً هو يشبه الله بالنور الذي يسطع على العقول بمعنى أن " أن الله هو مصدر الروح الروحاني

---

[1] علي زيغور، أوغسطينوس ، مرجع سابق، ص: 146 .

[2] حمودة غرابة ، إبن سينا بين الدين و الفلسفة (دار الطباعة و النشر الاسلامية ، مصر،دط ،دت) ،ص: 178.

[3] المرجع نفسه ، ص: 178.

[4] اوغسطين،الإعترافات ،مصدر سابق، ص: 199.

[5] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ،ص: 38.

الذي يجعل العلوم معقولة في الفكر"[1] وهذا مايشبهه بالشمس التي تكون مصدر النور الجسماني الذي يجعلنا نبصر الأشياء ،كما " أن الإشراق لا يغني النفس عن الإلتفات إلى الجسم ، و إن الفاقد لحاسة فاقد المعارف المقابلة لها "[2]كما نجد بأن أوغسطين يرى أن الحقيقة هي التي تتجاوز النفس لتصل إلى معرفة الله و هذه الحقائق الأبدية تنقسم إلى أربعة حقائق كبرى(الرياضية و الاخلاق و المنطقية و الميتافيزيقية) كون في العقل نقطة مركزية تتيح له تجاوز نفسه ليصل إلى معرفة الله " فمن بين المعارف العقلية ، الرياضية : وهي ثابتة أبدية مثال قولي : 3+7=10 هنا يعني المجموع المساوي هو 10 " [3] وهذه الحقيقة ابدية بمعنى أن الحقيقة ضرورية أي ثابتة وغير متغيرة كما أن هناك حقائق أخرى كالأخلاقية و الفلسفية مثال " أن من يعرف الحكمة يحوز بذلك الخير الأسمى وبهذا الوصول إلى السعادة "[4] و أوغسطين يحاول الوصول إلى مصدر للحقائق الثابتة و الأبدية التي تعتبر معرفة يقينية لا يشوبها الشك أو الخلل و البحث على هذا المصدر يعني بأن المصادر الأخرى غير موثوق منها كالحواس مثلا بحيث نجدها تكشف الحقائق الصادرة من الأشياء وهذه الأشياء هي في تغير دائم ،بحيث هي غير مستقرة أي لا يمكن أن تعطينا معرفة ثابتة أي ماتسميه بالعلم ولذلك نجد بأن الحواس أو بالأحرى الجسم ككل هو متحرك و متغير و متجزئ ويتقسم وبدوره لا يعطي حقائق ثابتة وهذا ما يحتم البحث عن مصدر للحقائق يكون غير موجود في العقل ،فالعقل يدرك مثالاً: الأعداد بمعنى أن كل عدد يحسب على عدد المرات التي تكرر فيها ومنه تعطى له المرتبة كأن نقول (1،2،3،4،5) فبعد الواحد تأتي مرتبة ثانية تسمى اثنان وهذا التدرج يعرفه أو يدركه العقل وليست الحواس فالحواس تدرك ما ترى من أشكال و ألوان وكذلك السمع مثال سماع الشعر فالعقل هو من يدرك بأن الشعر حسن أو غير ذلك ، وبهذا نجد بأن

[1] علي زيغور ، أوغسطينوس ، مرجع سابق ،ص: 157.
[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص: 39.
[3] علي زيغور ، أوغسطينوس ،مرجع سابق ص: 145.
[4] المرجع نفسه ، ص: 145.

الحقائق ليست أدنى من العقل ،فلو كانت كذلك لفرض عليها أحكامه بل هذه الحقائق ليست موضوع لحكم العقل كما يرفض أوغسطين أن تكون مساوية للعقل بل هي تنْبع من مصدر آخر حاول أوغسطين معرفته ثم توصل إليه ،وهو كما سبق لنا ذكره وهو الله أو سبق لنا تسميته بالإشراق الإلاهي الأوغسطيني و أما معرفة الأشياء هي المؤدية بالضرورة إلى معرفة الكلمات ولكي نحصل على معرفة لأسماء الأشياء و خواصها و أشكالها و ألوانها يجب أن تحضر أمامنا فإذا سمعنا الكلمة و تعرفنا على الشيء ،فإننا فقط نتذكره و إذا حدث و إن سمعنا الكلمة فيعني أن نبحث عليها فنحن لا نتذكرها. " عندما تلفظ لنا الكلمات ، و إما أن نعلم معناها ، أو لا نعلمها ، فإن كنا نعلمها كانت معرفتنا بها تذّكراً لاعلمًا محصلاً ، و إن لم نكن بعلمها فمعرفتنا بها ليست تذكراً ، بل هي على أكثر تقدير دعوة إلى البحث"[1] و هكذا استطاع القديس أوغسطين أن " ينتقل من الشك إلى اليقين ليتوصل إلى ثلاث حقائق يقينية هي إثبات وجود النفس ، إثبات وجود الله ، إثبات وجود العالم "[2].

[1] اوغسطين ، الإعترافات ،مصدر سابق ، ص: 89.

[2] صبري محمد خليل ، مقدمة في الفلسفة و قضاياها ، (الجمعية الفلسفية للطلاب ، الخرطوم ،دط، 2005) ،ص: 7.

المبحث الثالث : السياسة و الأخلاق.

إن منذ خلْق الله للبشرية التي إنبثقت عن آدم و حواء التي بدورها خلقت من آدم و الإنسان يبحث عن أصله الذي خلق منه ،و عن كيفية خلق العالم وهذا ماقد أشرنا إليه في مسألة خلق العالم "وأن الله صنع الإنسان من التراب و أقامه بين النبات و الحيوان"[1] ويقصد خلق آدم و الذي إشتقت منه حواء بحيث كانا يعيشان في الجنة أو كما نعرف في السماء أو كما سنعرف في اللاحق في العالم الآخر بسعادة وسلام فنجد انسجام تام بين الجسم و النفس المطمئنة و الراضية و التي يحكمها العقل الذي يرشد إلى الأخلاق و العدالة بكل معانيها وتبدأ العدالة في أصلها من الله فهو مبدأ الخير و الأخلاق و العدل ،فحقا " إن الله أمين عادل لينقينا من كل إثم " [2] لكن الإنسان يرتكب الأخطاء وذلك لأنه متبوع بالخطيئة التي نجمت عن آدم وحواء لأنهما عصيَا الله فطاعتهما لأوامره نتيجة لوسوسة الشيطان لهما للأكل من الشجرة وعند المسيحية فإن حواء هي التي أغوت آدم للأكل من الشجرة " أغّوته حواء فكسر الوصية الإلاهية ، و أكل من شجرة معرفة الخير و الشر ، وطردهما الله من الجنة بعد أن وعدهما بالخّلاص "[3] وكذلك يقول بولس " أخاف أنه كما خدعتْ الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم "[4] ولهذا فإن هذه الخطيئة التي إرتكبها أدم و حواء إنما هي سبب الهلاك الذي وصلت إليه البشرية " إن خطيئة آدم كانت فقط قدوة سيئة للجنس البشري"[5] ولهذا يرون بأن الشر دخل لعالم الأرض بمعصية آدم بحيث أصبح الإنسان يعطي الأولوية لمصالحه و شهواته الجسدية و الإبتعاد عن الأخلاق ولهذا يحاول التمرد على كل العادات و الأعراف و الأخلاق وذلك وفقا لطبيعته الموروثة

---

[1] الكتاب المقدس ، سفر التكوين الأيتان 02-04 ،(دار المشرق ، بيروت ، ط3 ،1994) .

[2] أوغسطين ، شرح رسالة يوحنا الأولى ، تر : الخوري يوحنا الحلو ، (دار المشرق ، بيروت ، ط4، 2001)،ص :19 .

[3] يعقوب ملطي ، معجم الكتاب المقدس للفتيان ، (مكتبة الفتيان ، دم ،دط، 1996 ،ج1)، ص: 18.

[4] أوغسطين ، حياتك في الأبدية ،تر الأنبا إيساك ، (مكتبة دير السيدة العذراء ، السريان ، ط1 ،1998)، ص:13.

[5] عبد السلام لودي ، صراع أوغسطينوس ،(د:د، دم ،ط1 ، 1990)، ص: 9.

عن آدم و حواء و تمردهما على ما أمرهما الله بفعله و إثر هذا التمرد الذي حصل كان ولا بد للإنسان أن يخلق نوعا ما من السيطرة كي ينظم بها حياة البشر و علاقة بعضهم ببعض ،وهذا ما سميَّ عند القديس أوغسطين بالفكر السياسي الذي جاء لحمي حياة البشر يبقيْ على الأخلاق و العدالة ،ومن ثم كان تفكير اوغسطين بوصفه لاهوتيا وليس بوصفه فيلسوفا ، إن كل مبادئه السامية لم تستمد من العقل بقدر ما إستمدت من الكتاب المقدس بدون أي شك فهو الحقيقة التي تحكم الإنسان السياسي ،لكن أوغسطين لا يرفض حكم العقل على الأشياء السياسية أو الحكم السياسي بل نجده يرى " كذلك الإيمان يبحث عن فهم أكثر كمالاً لمبادئه عن طريق استخدام العقل وفضلاً عن ذلك، على الرغم من أن العهد الجديد يهتم أساسًا بمصير الإنسان الأزلي ، فإن لديه الكثير الذي يقوله عن حالة الحكام و الرعايا ،وبوجه عام عن الطريقة التي يناشد بها الناس أن يعيشوا في المدينة "[1] ولهذا فإن أوغسطين اللاهوتي يرى بأن الله هو السلطة الأولى التي نشأ عنها العالم ثم البشر ثمن الخطيئة التي إرتكبها آدم " فما من سلطة إلا وتصدر عن الله"[2] ، لكن هذا لم يمنع من أن يعطي أوغسطين مكانة مرموقة للعقل فدائمًا كان الله ثم العقل لدى أوغسطين في المراتب الأسمى وبهذا فإن العقل يفهم الأسباب السياسية و كيفية العيش السياسي وعن الأماكن السياسية وبهذا كما ذكرنا فإن أوغسطين لم يفصل اللاهوت عن الفلسفة كما فعل الإكويني ،بل هما وحدة متكاملة لذا كان ولابد لنا من احترام وحدة التفكير لدى اوغسطين في تقديمنا لآرائه السياسية التي تحكمها مبادئ لاهوتية بمعنى أن العقل والدين يتدخلان بشكل معمق في فكر أوغسطين السياسي فنجده متأثرًا من ناحية فكره السياسي بشيشرون بصورة مباشرة وفي مضمون تعبيره نجده متأثر كذلك بأفلاطون و اوغسطين يُعرف الدولة بصورة مقتبسة جزئيًا

[1] ليوشتراوس ، تاريخ الفلسفة السياسية ، تر: محمود سيد أحمد ، (المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ،دط، 2005، ج1)، ص: 264.

[2] جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان الى العصر الوسيط ، تر : ناجي دراوشة ، (دار التكوين ، دمشق ، ط1 ، 2010)،ص: 147 .

عن شيشرون بأنها " مجموعة من الناس يربطها تسليم عام بالحق و مجموعة من المصالح "[1] كما يعطيها تعريف آخر في مدينة الله كتابه الشهير " بأنها تجَمُع لكثرة تريد أن تعيش ، بموجب قانون مرضي به ، في إطار من المصالح المشتركة "[2] وبهذا فإن أوغسطين يحاول أن يبين بأن لكل تجمع بشري يجب أن يكون لديهم نظام يحكم مصالحهم المشتركة كي لا يعم الفساد وقصد بهذا وجود دولة أو حكم لضبط تصرفات الإنسان مع أخيه الإنسان و ان يكون النظام عادل وذلك من خلال إعطاء لكل ذي حق حقه " أن الدولة لا يمكن أن تساس بلا عدالة ، ومن ثم ،حيث لا عدالة صحيحة فلا يمكن للحق أن يكون .....الحق ينبع من العدالة "[3] ومن خلال هذا فإنه إن انعدم الحق و العدالة فلا وجود لشعب بعد هذا ومن ثم لا وجود لشيء يسمى دولة و إذًا " لا حق حيث لا عدالة "[4] و أن العكس صحيح ،و من هذا يُظهر أوغسطين بأن الدولة و الحكم السائد فيها يكون عادل أو الحاكم يكون عادل و العدل يستلزم إعطاء الأفراد حقوقهم بمعنى لا فرق بين البشر لاغني و لا فقير بل الكل سواسية لأن كثرة اضطهاد الفقراء يؤدي إلا تمردهم على الحكم و الإنقلاب على الحاكم و الطبقة الغنية ،و هذا مايؤدي بدوره إلى حدوث مشاكل سياسية مزرية كما حدث في الإمبراطورية الرومانية و هذا ما قاله أوغسطين في مدينة الله "من الضروري أيضا تأمين التجانس في النظام العام في صفوف المجتمع العالي و المتوسط و الفقير تأمينًا لوحدة المواطنين "[5] وهنا يقصد المساوات بين طبقات المجتمع يعني الإتحاد بين أفراد الدولة و هذا الإتحاد هو الذي يضمن للدولة استمرارها وذلك بالطبع يكون بالعدل التام كي تقام الدولة ،و هذا مايعرف الآن بفرض الدولة لقانون وضعي له ضوابط بمعنى أن يكون مع

[1] ليوشتراوس ، تاريخ الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص: 269.

[2] أوغسطين ، مدينة الله ، تر: الخوري يوحنا الحلو ، (دار المشرق ، بيروت ،ط2 ، 2007 ، المجلد الثالث)، ص: 101.

[3] المصدر نفسه ، ص :150.

[4] المصدر نفسه ، ص:151.

[5] أوغسطين ، مدينة الله ، المجلد الأول ، مصدر سابق، ص: 91.

الرعية و إنصافها بالحقوق " لأن أساس الحق العدالة لا منفعة الأقوى "[1] وهذا ماسبق لنا و أن ذكرناه فأوغسطين يولي أهمية كبيرة للعدالة و الحق و المساوات بين أفراد المجتمع كي تبقى الدولة محافظة على استمرارها حتى وإن رفض البعض استخدام العدل فإن الدولة وجب عليها فرض العدل على بعض الطوائف بالقوة ،بعكس القانون الطبيعي الذي يترك العقاب لله فقط، و بهذا نجد بأن القانون الوضعي هو متغير حسب الزمان و المكان ومثال على ذلك نجد بأن الأخلاق متغيرة حسب المجتمعات ،فماهو سائد في مجتمع و مقبول هو مرفوض في مجتمع آخر و العكس صحيح ،ولهذا فمن باب العدل أن تراعي هذه الفروقات لذا " العدالة ثابتة ولكن الناس متغيرون " [2] ولذلك فإن النموذج الأصلي للاتفاق حول العدالة لا نجده في المدينة الأرضية بل في المدينة السماوية (مدينة الله) ،كما يرى ذلك أوغسطين لأن العدالة الموجودة في الدولة ناقصة لا بل أن الفلاسفة يرون بأنها منعدمة ويظهر مكانها الظلم ،إذاً من خلال كل هذا فإن المدينة الأرضية و ما يحدث فيها من مشاكل سياسية لا يمكن قطعاً للإنسان حلها فالإنسان يبقى مخلوقاً ناقصًا ولا يتمتع بالكمال لكي يفرض العدالة بين الناس و هو الذي يمتاز بالخطيئة و لا يستطيع نشر الخير الذي يتناسب مع طبيعته العاقلة كونه يفلت منها في غالب الأحيان ،ولذلك فإن الإنسان لا يمكن له أن يتمم خلاصه السياسي إلا من خلال الله كما سبق الذكر بأنه مامن سلطة إلا وتصدر عن الله وذلك يعني بأن على حد تعبير أوغسطين فهناك قانونان: الأول وهو القانون الأزلي و الأبدي و الدائم و الأسمى و الذي يحقق العدالة بكل معانيها ونجده في المدينة السماوية (مدينة الله) كما ذكر أوغسطين ،و القانون الثاني وهو قانون مؤقت أو القانون البشري و الذي يستمد أحكامه بصورة جزئية ناقصة من القانون الإلاهي الأزلي و هو " الذي بفضله تنظيم كل الأشياء تنظيماً كاملاً ، وتتوحد مع الإرادة ، أو حكمة الله التي توجه كل الأشياء إلى غايتها الصحيحة "[3] وهذا

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 50.

[2] ، المرجع نفسه ،ص: 51.

[3] ليوشتراوس ، تاريخ الفلسفة السياسية ، مرجع سابق ، ص: 273.

القانون الذي خلصنا إليه عند أوغسطين هو غير الذي سبق لنا ذكره أي الثاني الوضعي أو المؤقت الذي يتغير حسب الزمان و المكان بل الأزلي هو ثابت في كل مكان و زمان ،وبهذا فإن الطريقة التي عالج بها أوغسطين مسألته السياسية هي نفس طريقة شيشرون ولهذا فكلاهما يرون بأن " المدن و الشعوب ليست شيئا سوى تجمعات من موجدات بشرية تعيش وفق قانون مؤقت واحد ، وتلتزم به " [1] مثال على ذلك أن تمنح الخيرات إلى الذي يحسن إستخدامها بصورة صحيحة و أن يحرم الأشخاص الجائرين من الخيرات التي يمتلكونها لكن مع كل محاولاته إلا أن العدالة التي يحاول تجسيدها هي فقط صورة للعدالة الكاملة أو الأزلية ولهذا فالقانون المؤقت يخطئ بصورة كبيرة وواضحة فإذا إكتشف كل أفعالنا الخارجية فلا يمكن له معرفة الدوافع الخفية (كالزنا و السرقة و القتل)، و لهذا كله يجب أن يكمله قانون أعلى و أسمى و هو القانون الأزلي الذي يعلم بكل الأفعال و النوايا الداخلية و الخارجية و هذا هو الذي يمكنه تحقيق الفضيلة ،وبهذا يكون الناس سعداء و أخيار وذلك من خلال إتباع أوامره وتجنب نواهيه فهو عكس المؤقت الذي يحكم سطحيًا بل هو لا يمكن تصوره دون حياة أخروية ، تتم فيها العدالة بكل معانيها فالله عادل وعالم بالأمر الخفي يثيب ويعاقب وذلك من خلال إعطائه للفرد حرية الإرادة في استخدام سلوكه بصورة حرة ،ولهذا سيعاقب على أفعاله ويثاب على أفعال أخرى فالإنسان حين يرفض اتباع الله فأي عدالة فيه ولذا لن يكون فيه خير و لا عدالة لأخيه الإنسان في الدولة أو المدينة أو المجتمع ولهذا يقول أوغسطين " حين يرفض الإنسان أن يخدم الله في أي عدالة فيه ؟ طالما أنه ليس خاضعا لله "[2] ولذلك نجد بأن المدينة الأرضية التي يحكمها قانون مؤقت يعتبرون الخيرات المادية غايات يتصارعون من أجلها ويستمتعون بها بعكس مدينة الله (السماوية) فهي تعتبرها وسائل للوصول إلى الفضيلة و الكمال ،وبهذا فإن اوغسطين يرى خضوع الدولة للكنيسة و إذا ارتبطت بالأخلاق الفاضلة كانت أداة نظام وسلام فنجد بأن المسيحية نصت بتعاليمها على مجموعة من المبادئ كالسلام أو السلم و التسامح و

[1] ليوشتراوس ،تاريخ الفلسفة السياسية،مرجع سابق، ص:274.

[2] أوغسطين، مدينة الله ، المجلد الثالث ، مصدر سابق ، ص: 152.

التضامن وهذا ما أخذه أوغسطين عن المسيحية في فكرة الحرب فيرى أنه "يذهب حق تأييد العدالة بالقوة إلى حد الحرب "[1] إن الحرب عند أوغسطين مشروعة إذا كانت من باب الحقد أو الإنتقام الذي تشنه طائفة على طائفة أخرى مظلومة فإذا حدث و أن لم تقاوم المدينة المظلومة لإسترداد حقوقها فهذا ليس عدلًا ولا خلقًا لأنها لم تمنعهم من التمادي على الآخرين وهذا الأمر أي المقاومة و الحرب للمظلوم ضد الظالم ليس منافيّ للأخلاق كما يزعم البعض .خاصة إذا كانت هذه الحرب تهدف إلى نشر قيم السلم في آخر المطاف وهذا ما أقره الإسلام كذلك كدين سماوي ولهذا فإن الحرب هي من أجل الحد من التمرد و نشر قيم السلم و هو قيمة أخلاقية عظمى ،وذلك لأن الإنسان قبل تمرده على أخيه الإنسان وخنقه لصوت ضميره فإنه قد مارس هذا التمرد في أصله الأول أي الخطيئة التي ارتكبها آدم و حواء إثر تمردهما على الله فعاقبهما الله بإنزالها إلى الأرض وفرض العقوبات عليهما كالعبودية و الحرب و غيرها من الأمور التي تحدث للبشرية في أصلها معاقبة الرب إثر انتقامه منهم على الخطيئة ومع ذلك فإن أوغسطين يرى في إتحاد الكنيسة و الدولة يقوم السلام في الأرض كون المثل الأعلى للسياسة و الدولة هو المثل المسيحي . ولأن اوغسطين حاول دائما ربط جميع المشاكل التي تواجهه كالسياسة و الأخلاق فإن حل هذه المشاكل هو ربطها كحقائق بالله لأن الله هو مصدر السياسة إذن هو مصدر الأخلاق كذا يربط بين المعرفة و حب الله لأنهما غاية أخلاقيه وهي بدورها تؤدي إلى السعادة و ضمن القانون الإلاهي الذي سبق لنا ذكره ،يوجد قانون أخلاقي وهذا القانون بما أن مصدره الله فهو أبدي كالحقائق الرياضية و أوغسطين يرى أن الأخلاق ترجع إلى مشكلة الخير و الشر فأما الخير هو القانون إلاهي و الشر هو الخروج عن إرادة الله ورفض أوامره وعدم إتباعه ،ولذا فالخير موجود بالفعل أم الشر فهو عدم ونقصان ولهذا فإن الأمور الخيرة هي فضائل و أعلى الفضائل هو حب الله بدوره أوغسطين حاول إبراز العدالة كونها قيمة أخلاقية كما أن الفضيلة من مفاهيم الأخلاق كل هذه المفاهيم الأخلاقية أبرزها أوغسطين لبناء

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مرجع سابق ، ص: 51.

الدولة فصلاح الفرد يعني صلاح المجتمع ،وبما أن الله مصدر الأخلاق فهو العادل و الفاضل و الكامل و نهى أوغسطين كما سبق لنا الذكر عن إتباع ملذات و شهوات الجسد لأنها ليست بأخلاق نابعة من طاعة الله وهي تُهدم المجتمع أو الدولة"فالمعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة"[1] وهذا ما رآه أوغسطين بأنه أمر أخلاقي شائع كما أنه سبب في سقوط العديد من الدول و الإمبراطوريات، ومثال على ذلك حديث أوغسطين في كتابه مدينة الله عن الأخلاق التي تفسد الدولة أو تذهب بها نحو السقوط فيقول أوغسطين " بحسب رأي كآتون القائل: لا تظن أن أجدادنا قد جعلوا بقوة السلاح من الجمهورية الصغيرة جمهورية كبيرة ، لو كان الأمر صحيح لكانت اليوم أكثر ازدهارا . أليس لنا خلفاء ومواطنون أكثر مما كان لهم؟ "[2] وهنا نجد بأنه يقصد قيمة أخلاقية عظمى وهي الفضيلة بحيث يرى أن قيام الدولة يكون بالصحوة الأخلاقية بالرغم من أن هناك قوة سياسية هائلة لكن بالمقابل الدولة في تراجع فما سبب ذلك ؟ حسب ما قاله كآتون فإنه يرى بأن لديهم مواطنون وأسلحة وخيول وكل قوة تتمتع بها اي امبراطورية لكن ليس هذا ما تقام به الدول بل الحكم العادل والفكر الحر وكبح الشهوات والجرائم ، أما الذي يحط من قوة الدولة فهو الانحطاط الاخلاقي كالبذخ والجشع والطمع في الثروة الفردية والباقي من الشعب يعيشون في البطالة ولا فرق بين فرد صالح وآخر شرير ، وأن الفرد اصبح يراعي مصالحه الشخصية ويبقى أسير الشهوات والذائذ وأسير الجشع والطمع والثروة ولذلك يرى بأن الفساد الاخلاقي يؤدي بالدولة او الجمهورية الى الهلاك من الهجومات الخارجية والتمردات من كل مكان وجهة ،وبهذا تقع الدولة كفريسة للخيانة أو سلب الشعب أو المواطنين لحرياتهم من خلال إخضاعهم للعبودية واستبداد ممتلكات الشعب ،لكن انتفاضة القلائل من المواطنين ذوي الحكمة اخضعوا الحكام لما يريده المواطن من حقوق ذات طابع أخلاقي فيقول " عندما أفسدت البطالة والبذخ روما قامت

[1] أوغسطين ، قيامة المسيح وقيامتنا ، تر : الأنبا إيساك (مكتبة دير السيدة العذراء ، السريان ،دط، 1998) ، ص: 25.

[2] أوغسطين، مدينة الله ،المجلد الأول، مصدر سابق ، ص: 244.

الجمهورية بدورها تغطي بعظمتها رذائل حكامها "[1] . وبهذا كله فإن أوغسطين يرى بأن العدالة والفضيلة كقيم اخلاقية عظيمة هي اساس بناء الدولة هو الأخلاق لدى حكامها وأفرادها لأن صفة الله هي العدل ،لذا فالحاكم العادل يكون سياسي محنك وتبقى دولته مزدهرة وهذا يعني بأن الأخلاق لا تنفصل عن السياسة والسلطة فهي سلطة الله ثم البشر من بعده .

[1] أوغسطين، مدينة الله ،المجلد الأول، مصدر سابق ، ص: 245.

الفصل الثالث:
أوغسطين وأثره على الفلسفة .

- المبحث الأول :أوغسطين و أنسلم .
- المبحث الثاني :أوغسطين و بونافنتورا .
- المبحث الثالث :أوغسطين وديكارت .

تمهيد :

إن القديس أوغسطين كان له تأثير بالغ الأهمية ،وذلك يظهر من خلال ما ظهر من تيارات فكرية ومذاهب حاولت من بعد المذهب الأوغسطيني أن تعيد ما جاء به هذا الأخير أو أن تكملها فقط أو من خلال سلك الطريق الأوغسطيني ،ومن ثم تطويره لكي يتجاوز ذلك. لكن بقي ذلك قاعدة تأسست عليها هذه التيارات والمذاهب ومن خلال كل هذا ارتأينا أنه يجب علينا في هذا الفصل ونظرا لطبيعة الموضوع أن نتطرق إلى القديس أنسلم كونه متأثر بأوغسطين في العديد من المسائل العقلية ،والقديس بونافنتورا فهو امتداد لفكر أوغسطين، بينما روني ديكارت قد تطرقنا له وذلك من أجل تقسيم مسألة الكوجيتو الأوغسطيني وهو مسألة جد متعلقة بالعقل ألا وهو موضوع مجمل دراستنا .

المبحث الأول : اوغسطين وأنسلم :

إن الحديث عن القديس انسلم هو كالحديث عن القديس أوغسطين من ناحية أنه متأثر به ،وهذا ما يظهر لنا من خلال دراستنا لأنسلم وهذا الأخير هو قديس " ولد في مدينة أوستا شمال إيطاليا في أواخر سنة 1033 م ودرس دراسته الأولى في مدارس البندكتية ، وتبعا لهذه الدراسة الدينية أراد أن يكون أحد رجال الدين، لكن بعد وفاة أمه إنصرف عن كل تفكير في الدين "[1] ،"ودرس في دير بك Bec بإقليم نورماندیا ، حيث .لمعت شهرة مواطنه لانفرانك ، وفي سنة 1063 صار رئيسا لهذا الدير ، ثم عين في سنة 1093 رئيسا لأساقفة كانتربري حتى وفاته سنة 1109 ،وله عدة مؤلفات منها :

1/ Monologion 2/ proslogien 3/ de veritate

ونجده قد ألف كتابه الأول بناءا على طلب من بعض رهبان الدير" دير بك "وذلك دون أن يحتج بالكتاب المقدس بل بالإحتجاج العقلي المحض "[2] .وهذا ما قد لا نلمحه عند القديس أوغسطين الذي يلجأ للكتاب المقدس بعكس أنسلم الذي يقيم دليله على العقل لكن بالرغم من هذا كله فإن الفهم الحقيقي للقديس أنسلم هو أن العقل الذي يتحدث عنه أنسلم لا يعني أنه المصدر الوحيد للمعرفة بل هو مصدر للبرهان ،وليس للمعرفة لأن العقل يقوم على أساس حدس ديني ،وهو بهذا يسير على نهج أو طريق القديس أوغسطين ،بحيث نجد لديهما موقف مشابه في مسألة العقل والإيمان " فالقديس أنسلم يشبه القديس أوغسطين ..... الإيمان باحث عن العقل "[3]وهذا يعني أنه يقصد بأن الإيمان هو أساس التعقل وأن القديس أنسلم قد وضع كتابا ارتضى له عنوانا "آمن كي تعقل"وهذا الكتاب حاول فيه أن يبرز وجود الله فيعنى بالبدأ بالإيمان هو أن

---

[1] عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص: 65 .

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، مرجع سابق ، ص: 233 .

[3] حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص: 106 .

يتدبر الإنسان في وجوده وكيف خلق ،وكيف خلق العالم من حوله وكثرة التأمل التي تشب في نفس الإنسان تجعله يكشف الحقائق ،وذلك من خلال التأمل العقلي في الأمور التي يكشف بها حقائق كامنة كما يرى أنسلم بأن الإيمان يأتي بالدرجة الأولى ،وأن العقل هو الذي يفترض أولوية الإيمان ،وبهذا يصبح الإيمان موضوع للعقل كي يفكر فيه ويعقله وفي الوقت نفسه نجد بأن أنسلم يرى أن الإيمان يدعو إلى إعمال العقل والتأمل والتدبر في الأشياء "فالإيمان يحتاج إلى عقل له كما يحتاج العقل بالتالي إلى إيمان له " [1] ومن خلال شرحه هذا فإنه يخرج بنفس النتيجة التي وصل إليها أوغسطين ،بحيث بدأ أنسلم بالإعتماد على سلطة العقل بصفة خاصة لكن هذا الإعتماد قد وصل به في آخر المطاف إلى نتائج التي نص عليها الكتاب المقدس ،وهذا يعني أن أنسلم إعتمد على العقل فوصل إلى نتائج مطابقة لما جاء به الكتاب المقدس كما هي مطابقة لما جاء به أوغسطين ،وهذا يبرز لنا تأثر أنسلم بأوغسطين " فقد كان القديس أنسلم نفسه قد.عكف على دراسة أعمال أوغسطين وتشبع بها "[2] وهذاما برز لنا من خلال مناقشته لمسألة العقل والنقل التي تأثر بها من أوغسطين ،كماقد تأثربه في مسألة البحث عن الحقيقة وهذه الأخيرة كان مرّدها عند أوغسطين إلى الله كون الله هو حقيقة الحقائق وأول معرفة هي معرفة الله أما الحقيقة عند أنسلم فهي " إتساق لا مع موضوع خارجي بل مع موضوع داخلي تحدده الغائية الكامنة في كل موجود ، وهذه الغائية هي الإستقامة "[3] وبهذا نجد معنى الإستقامة عند أنسلم هي نفسها العدالة عند أوغسطين وكل الحقائق نجدها متجمعة في حقيقة واحدة هي وجود الله " والحقيقة هي الإستقامة من ناحية وجودية وهي الغير من ناحية خُلقية " [4] وبالتالي فأنسلم و أوغسطين لهما نفس الطريق وهو إدراك لإرادة ووجود ومعرفة الله .كما أن أوغسطين و أنسلم لهما نفس الطريق في مسألة الإرادة الحرة أوحرية الإختيار كما يعبر عنها أوغسطين وربطهما بمسألة أوالقدرة على الخطيئة

---

[1] حسن حنفي ،نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص :107 .

[2] المرجع نفسه ،ص:106 .

[3] المرجع نفسه، ص : 113 .

[4] المرجع نفسه ، ص: 113 .

وبهذا فإن انسلم يرى بان الخطيئة التي تكلمنا عنها سابقا عند أوغسطين هي عند أنسلم تعطيل للإستقامة ،وبهذا يصبح تحليل أنسلم أكثر بساطة من تحليل أوغسطين " إلا أن تحليل أنسلم لحرية الإختيار قد يكون أكثر بساطة إذا قارناه بتحليلات أوغسطين " [1] من ناحية ان أوغسطين يحكم على كل المواضيع من خلال خبراته وتجاربه بنفسه حتى يتوصل إلى الموضوع المطلوب ،لكن انسلم أسلوبه أبسط بكثير ،وهو قليل التجارب والتحليل للخبرات ومنه فأنسلم متفائل عن أوغسطين. إن القديس أنسلم يرى بأن الإيمان هو أساس العقل كما سبق وأن ذكرنا لكن الإيمان والكتب المقدسة كما رأى آباء الكنيسة هي ليست كافية لإدراك الحقائق والمعارف كون أنسلم حاول دائما الوصول إلى براهين عقلية بحيث نجده يرى بأن الحقائق لايمكن لنا أن ندركها مرة واحدة لأن آباء الكنيسة يشرحون الكتاب المقدس فقط ويعطون للإيمان الأولوية ويرفضون دور العقل الفعال في إدراك الحقائق ولذا هم يوصلوننا إلى الإيمان فقط لكن لو أن هؤلاء الأباء عاشوا إلى وقت أنسلم لإكتشفوا أن الحقائق مستمرة ولا يمكن الكشف عنها لمرة واحدة وكلها ،بل إن الحقيقة لا تنفذ والعلم بدوره لا ينفذ بل كل ما يصل المرء لحقيقة إكتشف بأن وراءها حقائق أخرى مخفية على العقل التأمل والتدبر فيها ليصل إليها " فلو عاش الآباء أكثر لوسعوا الحقيقة ، والعلم والحقيقة ليس بالشيء الذي ينفذ، بل ستتوالى العصور وستكتشف حقائق جديدة بإستمرار"[2]. كما أن أنسلم يحاول معرفة حقيقة الخير وبهذا فهو يناقش مسألة الخير مثله مثل اوغسطين فنجده يرده إلى الله الخير بذاته بحيث نجد ان تحليل انسلم لهذا يقوم على " الخير بذاته اشرف جميع أنواع الخير التي بغيرها .هناك إذن خير مطلق هو أسمى درجة من الوجود . وهو الكائن الأكبر .وعلى ذلك فالخير المطلق هو الوجود الأكبر ، وهو الله " [3].ولهذا فإن أنسلم يشبه أوغسطين في كونه قد أرجع الخير إلى الله و أن الله خير وكامل فالله هو واحد الوجود أو الذي تنبثق عنه الموجودات

---

[1] حسن حنفي ، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ،ص: 114 .

[2] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص: 68 .

[3] المرجع نفسه ، ص :70 .

وبهذا فإنه يرى جميع الأشياء تشترك في الوجود ،والأشياء ممكنة الوجود ،لا واجبة الوجود فالواجب ليس لديه علة وجود لكن ممكن الوجود له علة وتشترك فيها جميع الموجودات .وهذا الموجود واجد الوجود هو الله " نصل إلى موجود بذاته إليه ترجع الاشياء ، وهذا الموجود بذاته هو الله " [1] ،وبما ان الله هو واجد الوجود هو الكامل وكماله يظهر في خلقه والكمال يتفاوت بين الكائنات كأن نقول الإنسان أكمل من الحيوان ،ولذلك فإن نسبة الكمال متواصلة من مخلوق لأخر حتى نصل إلى الكمال الأعلى والأول ،وهو الله .فنجد بأن أنسلم مثل أوغسطين يُرجع المخلوقات من ناحية كمالها ووجودها إلى الخالق الكامل هو الله " أي على فكرة التصاعد في الكمال في داخل دائرة محدودة من الكائنات المتصاعدة في الكمال "[2]، وبذلك فإن أنسلم يرى أن هناك تفاوت في مراتب الكمال بين الموجودات وبهذا أنسلم يحاول ان يثبت هل هناك حدود لهذا التكامل فحتى الإختلاف موجود بين " الفرس أكمل في الوجود من الشجرة ، والإنسان أكمل من الفرس " [3]، وبهذا فإن الكمال يجب أن يكون لديه نهاية كي لا نقع في تناقض كبير وأنسلم يرى أن الكمال يعود لغير الماهية أي لشيء آخر وهو كمال كل الكمالات المتنوعة وهو الكمال الأعلى والأول وهو الله ،وقد لجأ أنسلم إلى إثبات وجود الله من خلال إثبات وجود العالم كما سبق وأن رأينا عند أوغسطين الذي يرى بأن الله خلق العالم ،وليس العالم مخلوق من قبل ، أي أن الله خلق العالم من عدم ،أي لم يكن العالم موجود قبل خلقه وأغسطين يرى هذا كما يرى أن الله خلق العالم لأنه أراد ذلك لا لأنه مضطر لفعل هذا .وبذلك انسلم يرى أن الأشياء لم تصنع من مادة سابقة لأنها لو وضعت لتساوت المادة مع الله وأصبحا شيئًا واحدًا وهذا لا يجوز بالنسبة لله وبالتالي فإن أنسلم يرى بأن " الخلق من العدم ، أي أن الله يأتي بوجود لم يكن موجودا من قبل "[4] وهذا كما سبق لنا ذكره كذلك عند أوغسطين وهذا الأخير قد تناول في الذكر صفة العدل وقد وصف الله بهذه الصفة نفس

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص : 70 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 71 .

[3] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص : 235 .

[4] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص : 75 .

الموضوع تأثر به أنسلم فهو يرى بأن الصفة التي يتصف بها الخالق ليست كالصفة التي تطلق على المخلوق ،وهنا يقصد الله والإنسان كما يقصد بالموجود بالذات هو الله ، والموجود بالغير هو الإنسان فيقول أنسلم أن " العدل حين يطلق على الإنسان فمعنى ذلك أن للإنسان صفة العدل ، أما بالنسبة إلى الله فيقال إن الله هو العدل " [1]،وهنا نجد أنسلم كما أوغسطين يحاول أن ينسب كل الصفات الخيرة إلى الله كأن يقول بأن الصفات المطلقة تنسب إلى الله فقط كما تنسب إليه كل الصفات الكمال فأنسلم يرى أن الله هو " الحياة والقدرة والعلم والحق والعدل والبقاء والخير "[2] ، وهنا نجده يقصد أن الله هو الذي يهب الحياة للمخلوقات وهو القادر على خلق كل الأشياء والعالِم بكل الأمور وإليه تنسب كل المعارف وهو الحق والعادل كما يرى ذلك أوغسطين وهذه الصفات كلها هي نفسها الذات الإلاهية أي ملتصقة بالذات وليست مستقلة عنها ،وبهذا يصبح جوهر الله واحد كما ذكر أنسلم ونجد هذا الأخير متأثر بأوغسطين من خلال الإنسان فأنسلم في هذه المسألة يتبع أوغسطين ، وبهذا يعيد فقط رؤية أوغسطين للموضوع فيقول بأن " الإنسان يتذكر ذاته ويعقل ذاته ويحب ذاته ، وهذه هي صورة الثالوث في الطبيعة الإنسانية ، فكأن الإنسان يحتوي على صورة الله "[3].

وكذلك أنسلم يرى بأن المعرفة يتم تحصيلها على طريق العقل والحس معا كما يتم تحصيلها عن طريق نظرية الإشراق التي تحدث عنها أوغسطين وأنسلم ،كذلك عند الفلاسفة المسلمين، وبهذا فإن تأثر القديس أنسلم بأوغسطين في العديد من النواحي يظهر جليا من خلال المسائل التي تناولها أنسلم تعتبر كتجديد لبعض المسائل لدى أوغسطين .

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص : 76 .

[2] المرجع نفسه ، ص:76 .

[3] المرجع نفسه ، ص : 77 .

المبحث الثاني :أوغسطين وبونافنتورا .

في هذا المبحث خصصنا الحديث عن القديس المعروف بإسم بونافنتورا والذي يسمى " بإسمه العلماني جيوفاتي فيدانزا ، ولد في مدينة بنيوريا بالقرب من vitenbo سنة 1221 ، والتحق ي سنة 1238 بطريقة القديس فرنسيس..... يجب ألا ننسى مسألة اشتغال القديس بونافنتورا بالفلسفة الأوغسطينية "[1] ،فهو يلقب بـ "العالم السرافي" [2] إن القديس بونافنتورا المسيحي قد سافر إلى العديد من الأماكن لتلقي وتلقين العلم بحيث تلقى دروس عديدة حول مذهب أوغسطين الذي تأثر به في العديد من المسائل فقد " انخرط ،وهو في باريس ،في سلك الرهبانية الفرنسيسكانية .وصار أكثر ميلاً إلى فلسفة أوغسطين ." [3]،إن القديس بونا فنتورا نظراً لتأثره بأوغسطين فإنه رأى بأن الفلسفة يجب أن تربط باللاهوت ،وذلك لحل معظم المسائل ولذا نجد بأن نظرية المعرفة عند بونا فنتورا يقسمها إلى ثلاث أنواع :

" أ–حسية، وهي التي تدرك الأمور المادية بواسطة الحواس .

ب– علمية ، وهي التي تستند إلى التجريد العقلي .

ج– وحكمية ، وهي التي تستعين بالإشراق الإلاهي ." [4]

والمعرفة الحسية عند بونافنتورا تعني أن المحسوس أدنى من النفس فيقول ان المحسوس لا يؤثر في النفس او المعقول او الاعلى ، وهذا يعني أن النفس هي روحية والعضو الحاس هو مادي وهو الذي ينفعل ،أو يتأثر بمؤثرات أو أجسام ، ثم تتأثر النفس

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص: 94 .
[2] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص : 383 .
[3] المرجع نفسه ، ص : 383 .
[4] المرجع نفسه ، ص : 383 .

بالفعل وتقوم بنشاطها ،ويركز على أن النفس تصلها مؤثرات كي تقوم بنشاطها وليس في معرفة فطرية ،كما يرى بونافنتورا أن الحقيقة تدرك من خلال الإشراق الإلآهي ، وهو نفس الأمر الذي فسره أوغسطين ، بحيث أن الله أو النور الإلاهي ،أي الغير مخلوق هو الذي يشرق على النفس كما نجد له نفس التفسير لمسألة وجود الله ومعرفة الله ،بحيث يرى بونافنتورا أن الله هو الفاعل والخالق والذي بفعله تنمو المخلوقات أو الموجودات ،وبهذا فإن " فالنفس ، في كل فعل من أفعال المعرفة تُحيل الشيء إلى العلة الأزلية ، إلى قيمته المطلقة الثابتة في الوجود المطلق ، وهو الله ، أي في صورته النموذجية ، والغائية هي التي تقود الصيرورة في العقل " [1].

وبونافنتورا يقصد بأن الله هو أصل المعرفة وهو حقيقة الحقائق وأن وجود الله هو الحقيقة الواضحة ، ويرى أن الأخطاء الثلاثة في التصور والبرهان والإستنتاج هي التي يمكن أن تُخفي عنا معرفة الله أو فهم كلمة الله وهو أكبر حقيقة ،ويمكن إدراك الله عند بونافنتورا من خلال :ان الله حاضري النفس دائما وبالتالي ندرك وجود الله لان ذلك أمر أو حقيقة فطرية في عقولنا " هو أن وجود الله حقيقة فطرية في عقل كل إنسان "[2] ،والأمر الآخر هو أن نبدأ من أي كائن محسوس لنصل إلى العلة أو الله أو الخالق .

والأمر التالي هو أن تصور الماهية يقتضي الوجود ، أي" أن تصور ماهية الله تقتضي وجوده "[3]وبهذا فإن بونافنتورا يرى بأن : "العقل الإنساني مرتبط بالحقيقة الدائمة " [4].

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص : 384.

[2] المرجع نفسه ، ص : 384 .

[3] المرجع نفسه ، ص : 384 .

[4] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص : 123 .

ويرى بذلك أن الاتصال الذي ذكره ليس يعني أن الارتباط يكون بذات الله أو العقل الإنساني هو عقل الله ،بل هذا الاتصال يقصد به أن الله كفكرة هو منطبع في النفس و أن الله خلق هذه النفس مزودة ومهيأة لإدراك فكرة الله ووجوده وبهذا يكون هذا الإدراك إدراكاً موضوعيًا وتكون هذه الفكرة موضوعية .

وبالنسبة لفكرة أو مسألة العالم التي سبق وأن تَحدث عنها أوغسطين ،فإن بونافنتورا يرى أن العالم لم يصدر عن ذات الله بل أن الله قد خلق هذا العالم بإرادته وخَلقه من العدم ، كما أنه يرى " لما كان العالم متغيرا كان معنى أزليته ازدياد اللانهاية بدوامه "[1].

وبهذا فإن مسألة الخلق أو العالم هي أن الله هو خالق الوجود، لأن الكثرة تصدر عن القلة أو أن المخلوقات تشير إلى وجود خالق أو مصدر لتلك الكثرة .وأن المتغيرات تشير إلى وجود ثابت ، وأن وجود المتناهيات دلالة على وجود اللامتناهي ، وبهذا فإن بونافنتورا يرى أن الله كامل ، وبهذا فإن الكامل يكون أثره أكبر كمالا ونفوذه عظيم ،ولهذا إذا خلق الله شيئا بخلقه تامًا في خِلقته، ولذلك فإن الله لا يحتاج في خلقه للأشياء أو العالم إلى مساعد له في الخلق ولذا فإن " الله كامل ، وكلما يكون الشيء أكبر درجة في الكمال يكون أثره أكبر "[2].وبهذا فإن بونافنتورا يؤمن بأن الخلق للعالم كله كان من العدم بمعنى أن الشيء لم يوجد ثم وجد ، ومادام هناك بداية للعالم أو الخلق فإذن هناك بداية للزمان " نقطة البدء المطلق للوجود في هذه الحالة هي النقطة الزمنية للخلق "[3]، وبهذا فإن الخلق والزمان متساويان وخلقاَ مع بعضهمَا وأن مسألة الأزلية غير صحيحة ،فالقديس بونافنتورا يرى استحالة ذلك لأن نظام الذي خلق فيه هذا العالم يعني أن هناك بداية ووسط ونهاية ،وهذا ما نجده عند أوغسطين بداية التاريخ ومساره ونهايته.

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص : 124 .

[2] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص: 122

[3] المرجع نفسه ، ص : 124 .

وبالنسبة لبونافنتورا فإن العقل والنقل مسألة قد تعرضنا لذكرها عند أوغسطين ،وسنناقشها لدى بونافنتورا الذي يرى أن "العقل هو البحث اليقيني الذي يقوم به الإنسان كي يصل إلى المعرفة اليقينية "[1] .ويقصد بأن المعرفة العقلية غايتها الوصول إلى اليقين وهذا بالنسبة إلى العقل، أما بالنسبة إلى النقل فهو يؤدي إلى اليقين كذلك .ولذلك فإنه يفرق بين نوعين من اليقين وذلك فيما يخص العقل :" التعلق باليقين ، و وضوح اليقين " [2].بالنسبة للتعلق باليقين :فإننا نرى بأن رجل الدين يضحي بحياته حتى الموت من أجل الحفاظ على معتقداته الدينية ، والإنسان العبقري لا يضحي من أجل نظرية هندسية ،وبهذا فإن العقل أقل درجة من النقل في هذا الصدد ،وأما بالنسبة لوضوح اليقين فإن النقل أقل درجة من العقل لأن الإيمان

عندما يأتي بيقين غير واضح ،بمعنى أن هذا التقديم يكون صورة أولية تحتاج إلى عقل يقوم بإثباته وتفسيره ،ومنه فالعقل يثبت كل هذه التفاصيل بصورة دقيقة وسهلة ،ومنه فإن بونافنتورا يرى أن الإيمان أو النقل يأتي بالحقيقة الإيمانية كما هي موجودة والإنسان يؤمن بها كما هي موجودة ،وبالتالي فإنه " حيث تنتهي الفلسفة أو العقل يبدأ الإيمان "[3] ،ومنه ليس ثمة اختلاف بين العقل والنقل عند القديس بونافنتورا إلا من حيث بداية كل منهما فالعقل يبدأ من حقائق متسلسلة ليصل إلى مبادئ أولى ،لكن الإيمان يبدأ من معتقد إيماني ثم يبرهن عليه أو حقيقة ليصل للبرهان .وبما أن العقل هو من خلْق الله فهو مكمل للإيمان والعكس صحيح وبالتالي :" أن الإيمان لا بد أن يوجد إلى جانب الفلسفة ، ولا بد من لطف الوحي كي يمكن العقل أن يسير في طريقه " [4].وبهذا فإن بونافنتورا قد تأثر بأوغسطين وسلك طريق أنسلم في تأثره بأوغسطين في العديد من المسائل الهامة التي تم لنا عرضها ومناقشتها

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق ، ص : 97 .
[2] المرجع نفسه، ص : 97 .
[3] المرجع نفسه ،ص : 98 .
[4] المرجع نفسه ، ص : 101 .

المبحث الثالث : أوغسطين وديكارت :

وفي هذا المبحث نحاول الحديث عن الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت (1596 / 1650)الدارس للفلسفة في مدرسة لافليش للآباء اليسوعين والمولع بحب الرياضيات وصاحب أهم المؤلفات المعروفة (مبادئ الفلسفة) ، (مقالة الطريقة)، وغيرها من مؤلفات عرف بها ،وكان ديكارت من بين أهم الفلاسفة المهتمين بالدين والغير معارضين لفكرة الألوهية وعلاقتها بالفلسفة والعقل " أنه تأثر (ولو بالواسطة) بالأفلاطونيين المسحيين ، فلن نعجب إذا وجدنا عنده شيئا من القديس أوغسطين ....." [1].كما كان يحترم آراء الكنيسة ،إذ أنه عندما سمع بإدانة غاليليو التي تقول بدوران الأرض والتي كان ديكارت معجبا بها واحتراما للكنيسة عدل عن رأيه وأخفى مؤلفاته حول الموضوع ونشرت بعد وفاته فقط .

كما كان لديكارت كتاب أسماه " تأملات في الفلسفة الأولى ، وفيها برهان على وجود الله وخلود النفس " [2]، وقبل نشره لهذا الكتاب أراد الأخذ بعين الاعتبار رأي أباء الكنيسة هل يقبلون بها أم يرفضون ؟ ثم حاول بعدها تعديله وفقاً لما يتناسب وأصحاب الكنيسة ،أي بما ينال رضاهم وهذا يعني بأن ديكارت مثله مثل القديس أوغسطين يولي أهمية عظمى للدين والألوهية فالله هو مصدر المعرفة كما هو الشأن بالنسبة لأوغسطين وبهذا نجد بأن هناك من مؤرخي الفلسفة من رأي بأن ديكارت تأثر بأوغسطين خاصة في مسألة الكوجيتو فهناك ما سمي بالكوجيتو الأوغسطيني وكذلك الكوجيتو الديكارتي الذي ظهر مع ديكارت والذي ينفي بأنه تأثر بأوغسطين كما ينفي بأنه قد اخذ عنه في عدة مسائل :ولذلك تظهر بين أيدينا مسألة شائكة وجب حلها وذلك من خلال تطرقنا إلى فلسفة ديكارت، أو بالأحرى الكوجيتو الديكارتي والميتافيزيقا كذلك .

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، (كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ،دط، دت) ص: 69 .

[2] المرجع نفسه ، ص: 70 .

فالفلسفة عند ديكارت " تعني دراسة الحكمة ، ولسنا نقصد بالحكمة مجرد الفطنة في الأعمال ، بل معرفة بكل ما في وسع الإنسان معرفته "[1] وهنا يقصد ديكارت بقوله أن الفلسفة أو الحكمة هي معرفة شاملة لجميع مجالات الإنسان ،سواء معرفة الله أو معرفة حياته كالصحة والفن وكلها تنبع من العلل الأولى .وقد قام ديكارت بتقسيم الفلسفة إلى أقسام، الأول وهو الميتافيزيقا، والثاني هو الفيزياء " فالميتافيزيقا ، وهي تشتمل على مبادئ المعرفة التي منها تفسر أهم صفات الله وروحانية نفوسنا .....، والقسم الثاني وهو العلم الطبيعي،.... نفحص عن تركيب العالم على العموم .... عن طبيعة هذه الأرض وجميع الأجسام .... عن طبيعة الإنسان "[2] ، ومن هنا نرى بأن ديكارت ينظر للفلسفة على أنها العلم الكلي ومنهجها هو الإستنباط " أي استنباط قضايا جديدة من المبادئ لكي تكون الفلسفة جملة واحدة "[3] ويثور على مبدأ الإستقراء الذي تكون نتائجه غير مضمونة ويقينية، وذلك من خلال وضع أربع قواعد لمنهجه :

- "قاعدة البداهة : أن لا أسّلم بشيئا إلا أن أعلم أنه حق ،وبهذا يكون إعلان حرية الفكر وإسقاط كل سلطة .

- قاعدة التحليل : أن أقّسم كل مشكلة تصادفني ... لحلها على غير وجه غرضها الحدس.

- قاعدة التركيب : أن أسير بأفكاري بنظام ، فأبدأ بأبسط الموضوعات وأسهلها معرفة .

- قاعدة الإحصاء : أن أقوم في كل مسألة بإحصاءات شاملة.. أتحقق أنني لم أغْفل شيئا "[4] .

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص : 71

[2] المرجع نفسه ، ص:71 .

[3] المرجع نفسه ،ص:71 .

[4] المرجع نفسه ،ص،ص :73،72 .

ولذلك فالمنهج عنده يبين قواعد عملية لإقامة علم صحيح ودقيق بإستخدام العقل الذي يولي له أهمية كبيرة ، ولأن هناك تباين في إستخدام العقل نشأ لديه ما يسمى بالشك ،فنجده شك في كل شيء حتى توصل إلى ما توصل إليه أوغسطين كما سبق وأن ذكرنا ،ومنه فاديكارت شك في الحواس لأنها تخدع في أغلب الأحيان وهذا كذلك ما توصل إليه أوغسطين كما سبق لنا ذكر ذلك " لانصل إلى حقيقة أصلية عن طريق حواس الجسم "[1]وهذا ما رآه أوغسطين حول الحواس وخداعها ونجد هذه الفكرة عند ديكارت كنفس الفكرة عند القديس أوغسطين، ولا زال هناك أفكار أخرى تدل على أن أغلب الأفكار الرئيسية لديكارت مشابهة لما هو وارد عند أوغسطين، فمثلا شك ديكارت في الحواس وهذا ما قد ذكره في كتابه مبادئ الفلسفة بأن " التجربة قد دلتنا على أن الحواس قد خدعتنا في مواطن كثيرة "[2] ومن الحواس إنتقل إلى الشك حول موضوع اليقضة والنوع ،فأصبح لديه شك في حياته بين الواقع والخيال ومنه خلط بين اليقضة والنوع هل هي " حلم متصل ، أي لعل اليقضة حلم منسق " [3]ومن ثم إنتقل به الشك إلى حد القول في كتابه مبادئ الفلسفة " متى صمم الإنسان على أن يشك في كل شيء لم يعد يجد علامة للتمييز بين الخواطر التي ترد علينا في حال النوم ، وتلك التي ترد علينا في حالة اليقضة "[4] ومن ثم احتدم به الصراع الفكري إلى أن وصل إلى الشك في الاستدلال العقلي ،أي في مجال الرياضيات بحيث وجد بأن هناك من يخطئ في موضوعات بسيطة خاصة بالهندسة ولهذا يرى بأن " لعلي أخطئ دائما في الإستدلال "[5] .

لكن بالرغم من هذا فإن الرياضيات وقفت صامدة في وجه الحجج التي ارتكز عليها لرفض المعارف الحسية لأن الرياضيات من بين المعارف العقلية الغير تابعة للحواس فطابعها يقيني فيرى ديكارت بذلك أن " أضلاع المربع أربعة ، وأن اثنين وثلاثة

---

[1] إتين جلسون ،روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ،مرجع سابق ، ص: 274 .

[2] ديكارت، مبادئ الفلسفة ،ترجمة وتقديم وتعليق : عثمان أمين ، (دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،دط، دت)، ص: 54 .

[3] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص : 74 .

[4] ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ،ص،ص:54،55.

[5] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص: 74 .

تساوي خمسة "[1] .وهذا أيضا ما حاول إبرازه أوغسطين قبل ديكارت ومن الممكن أن ديكارت تأثر به فيرى أوغسطين أن " من بين المعارف العقلية الرياضة : وهي ثابتة أبدية مثال قولي :7+3=10 هذا يعني أن المجموع المساوي هو 10 "[2] .ومن هنا فإن أوغسطين يرى أن هذه حقائق عقلية ثابتة وأبدية لا تتغير مثله مثل ديكارت وهذا الأخير بدوره ينتقل إلى شكه في فكرة الإلاه ،بحيث كان يرى بأن الله كامل وكلي وخَيرٍ فكيف هذا الإلاه يسمح بأن يرتكب ديكارت أخطاء وهذا الخطأ مادام قد سمح به فإنه أكيد سيتكرر عدة مرات بل على الدوام ،ومن كل هذا نجد ديكارت يرى بأن هناك شيطان يبذل جهده ليخدعني ويضللني ويحول بيني وبين الحقيقة التي يبرزها لي وكأنها أوهام وأخطاء فيرى أنه قد يكون " هناك روح خبيث قدير يبذل قدرته ومهارته في خداعي ، فأخطئ في كل شيء "[3] .

ومن كل هذا يخلص ديكارت في فكره إلى أن الدور الرئيسي للصدق الإلاهي هو بناء علم الأفكار الواضحة ،فالبحث عن اليقين يقتضي وجود الله وهذا ما رآه أوغسطين بدوره وأن كل الأفكار اليقينية ترد إلى العقل البشري ويمكنه الشك فيها وأنه لا يمكن له الشك في حقيقة واحدة ألا وهي مصدر اليقين والمتميز بالوضوح والصواب وهو وجود الله الحق ،فإن معرفة الله تتوقف عليها حقيقة كل علم ويقينه ،وبهذا كله يرى ديكارت هذه الفكرة لكن سبقه إليها القديس أوغسطين بأن الله أصل كل الحقائق " ففيه إذن وبه وحده يمكننا معرفة كل الأشياء إذ هي تجد سندها وأصلها في الله "[4] فمن خلال هذه الحقيقة التي انطلق منها أوغسطين ،وهي أن الله مصدر كل الحقائق نجد بأن ديكارت بدوره يولي لله أهمية كبيرة بأنه مصدر الحقائق الأبدية كما سبق وأن رأينا لدى كل من ديكارت وأوغسطين ونجد كذلك حقيقة أن الكوجيتو الديكارتي مشابه

---

[1] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،مرجع سابق، ص: 74 .
[2] علي زيغور ، أوغسطينوس ، مرجع سابق ، ص : 145 .
[3] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص : 74 .
[4] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص: 250 .

للكوجيتو الأوغسطيني ،فأوغسطين يرى بأنه من يشك بأن الله هو الحق الصمد فهو على الأقل يشك بأن هذا هو العلم المنافي للشك وقد حمل على الشكاك أهمهم كرنيادس الذي ينكر إمكان إدراك الحقيقة فقال " Si fallo –Sum "والتي تعني بالعربية(إذا كنت أشك فأنا موجود)كما يرى " إن الإنسان بالشك يدرك وجوده ، ويدرك أنه حي .فالوجود ،والمعرفة ، والحياة أمور مترابطة متساوية "[1] ،وأنه يقصد أن هذه الحقائق مترابطة ويمكن إدراكها وفقا لحقيقة مطلقة ومتعالية وهي الله .

أما عند ديكارت فيرى بأنه يشك لكن هناك شيء أقوى يقام به شكه وهي أنه يشك ، وبهذا يرى بأنه يستطيع الشك في كل شيء ما عدا أن يشك في شكه وأن هذا الشك الذي تكلم عنه هو تفكير إذن هو يفكر والذي يفكر هو الموجود فقط إذن يقول (أنا أفكر إذن أنا موجود) وهذا هو الكوجيتو الديكارتي الذي اعتمده في فلسفته ومنه خَلُص إلى الفصل بين الجسم والنفس وأن النفس أعلى من الجسد فهي على دراية بكل ما يحدث للجسم . فالفكر صادر عن النفس ، ولا يمكن أن أشك في " النفس أو الروح فهي ثابتة عندي مهما أشك في وجود جسمي وسائر الأجسام "[2] ومنه فإن العديد من الملاحظات والأمور المتشابهة بين ديكارت وسابقه القديس أوغسطين خاصة في فكرة اللامتناهي في الطبيعة كأن نقول 7و3 تساوي 10 تدوم للأبد وأن الحكمة قاعدة السعادة ،كذلك أمور العقيدة والإيمان ووجود الله الحق فديكارت يرى أن العقل لا يجب أن يناقض معطيات العقيدة ،فيقول ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة "إن يكن الله قد أنعم علينا بما كشفه لنا من أشياء تتجاوز طاقة عقولنا ، لم يستعصي علينا الإيمان بها مع أننا قد لا نفهمها فهما واضحا " [3].وبهذا فإن أهم الأمور المتشابهة بين أوغسطين وديكارت قد سبق وأن ذكرناها فكيف كان مذهب أوغسطين مخفِي على ديكارت ولم يخفى على

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص: 250 .

[2] يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص: 75 .

[3] ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص:70.

معاصريه الذين إنتبهوا إليه من البداية ،ولذلك فإن قول ديكارت بأنه لم يتأثر ولم يأخذ عن أوغسطين أمر يدعوا إلى الشك لأن التوافق بينهما في العديد من الأمور خاصة الكوجيتو الذي ينطلق ليثبت وجود الله هو أمر يدعوا للتفكير في التأثر .

خاتمة

خاتمة :

و نخلص من كلّ هذا بأنّ البحث الذي قمنا بإنجازه قد ضمّ العديد من النّتائج التي يوصلنا إليها أهمّها على الإطلاق :

بأنّ القدّيس أوغسطين قد بدأ مساره الفكري من تعلّقه بالمانوية من ثمّ مذهب الشّك ، لكن ما يستدعي الانتباه و يثير الاهتمام هو تعلّقه بالأفلاطونية المحدثة التي برز من خلالها كفيلسوف و قدّيس و من ثمّ بد أ يبرز مسألة العقل في العديد من المواضيع حيث وجد بأنّ فيها إشباعا لنزعته العقلية وصل من خلالها إلى المسيحيّة لأنّ الأفلاطونية تعني دينا مفلسفا أو فلسفة دينية ، و بهذا فإنّ أوغسطين يفضّل تلاميذ أفلاطون كونهم ناقشوا مسألة أنّ الله خالق كلّ شيء و ذلك في كتابه مدينة الله.

و بالتّالي نجد بأنّ أفلاطون و أفلوطين يرون بأنّ أوّل الموجودات هو الخير و ثانيها هو العقل ، و من ثمّ النّفس التي لديها ملكة عقلية تعرف من خلالها الله ، و بهذا فإنّ العقل في المسيحيّة يدلّ على الغريزة العقليّة ذاتها و تعمل بنمطها البشري و الاستدلالي .

بالتّالي إنّ كلاّ من القدّيسين و الفلاسفة لا ينفون دور العقل لكن في العديد من المرّات يوجد إتّفاق بينه و بين الإيمان ، و في بعض المسائل نجد بأنّ هناك تناقضا ، و بالتّالي للعقل مكانه الخاص و حدوده و أنّ للإيمان مكانه و حدوده اللاّهوتيّة ، أمّا آباء الكنيسة فيرون بأنّ العقل يجب أن يعمل في جدود اللاّهوت و لا يخرج عن ذلك ن و أمّا أبيلاردس فيرى بأنّ الإيمان بحاجة للعقل دائما ، و أرجين يرى أنّ النّقل يصدر عن العقل الحقّ ، و العقل لا يصدر عن النّقل أبدا ن أمّا الاكويني فيرى أنّ لكلّ إنسان عقل بالفطرة يستخدمه في العديد من المسائل ، و بالتّالي نكون قد أخطأنا إذا فكّرنا أنّنا نستطيع تقويم فلسفة أوغسطين بعيدا عن فكره اللاّهوتي ، فالعقل في حدود الإيمان عند أوغسطين فالعقل يعجز عن بعض الأمور لذا يلجأ إلى الوحي ، لكن العقل يسبق الوحي فقط لكي يتعقّله و لا يبقى إيمانا ساذجا بل عقليّا ، كما ّ، الإيمان لا يوجد إلاّ في العقل ، فالإيمان قبول عقلي لحقائق الدّين .

كما يرى أوغسطين بأنّ مسألة العقل تتدخّل في معظم المسائل الأخرى كنشأة العالم. و ذلك حينما يتدبّر العقل في خلق الله للمخلوقات و للأرض و السّماء و البّحار ، فأوغسطين كان يفكّر

بعقله مليّا لكي يسأل نفسه من خلق العالم ، و كيف ذلك و متى حدث ذلك حتى يتوصّل إلى أن يسأل المخلوقات من خالقها و هي تهتف بأنّ الله خالقها.

و الله هو أصل المعارف و أوّلها، كما أوغسطين يرى بأنّ المعرفة العقليّة أجدر من المعرفة الحسّيّة من ناحية حكمها على المعارف ، لكن إذا تجاوز العقل نفسه يصل إلى معرفة أرقى و هي معرفة الله ، و إنّ أوغسطين يرى أنّ الحائق الثّابتة و المعارف اليقينيّة ليست أدنى من العقل ، فلو كانت كذلك لفرض عليها أحكامه ، كما أنّها ليست مساوية له ، بل صادرة من عند الله ، و أهمّ ما توصّل له أوغسطين من حقائق يقينية هي : (إثبات وجود النّفس، إثبات وجود الله ، إثبات وجود العالم).

و إنّ الفكر السّياسي و الأخلاقي لدى أوغسطين جاء ليحمي حياة البشر و يبقى على العدالة التي تعدّ قيمة أخلاقيّة عظمى و نظام للحكم السّياسي الجديد.

و بذلك فإنّ أوغسطين يرى بأنّ الله هو مصدر السّلطة ، بل هو السّلطة العليا . و بالتّالي فإن القانون الأزلي هو الأصلح لدى أوغسطين و هذا يعني الدّولة تخضع للكنيسة ، كي يعمّ السّلام ، أمّا القانون المؤقّت فهو غير صالح لأنّه يحكم على الأمور الظّاهرة ، لكن لا يعلم الخفيّة بعكس القانون الأزلي الصّادر عن الله و يصلح في مدينة الله لا في مدينة الأرض ، و بالتّالي فالمثل الأعلى للسّياسة لدى أوغسطين إلى مشكلة الخير و هو قانون إلهي ، و الشّر هو خروج عن إرادة الله، و العدالة و الفضيلة هما قيمتان أخلاقيّتان ، و أنّ الفساد الأخلاقي يؤدي بالدّولة إلى الهلاك.

كما أنّ الأثر الذي تركه أوغسطين في الفلسفة كان له أثر بارز على أنسلم الذي يرى بأنّ الإيمان يبحث عن العقل ، و أنّ الله هو حقيقة الحقائق و من ثمّ يرى أنّ الاستقامة هي نفسها العدالة التي دعا إليها أوغسطين .

و أنّ أنسلم يرى أنّ الوحي يأتي دفعة واحدة ، لكن العقل له دور مهمّ فهو يكشف لنا الحقائق عبر العصور ، فلكلّ عصر حقائق و معارف جديدة يكشفها العقل فقط ، كما يرى مثل أوغسطين بأنّ العام خلق من عدم.

و أثر أوغسطين قد طال بونافنتورا أيضا بحيث يرى هذا الأخير أنّ الفلسفة يجب أن ترتبط باللاّهوت ن و يقصد هنا أنّ الإيمان و العقل لهما دور مشترك و مكمّل لبعضهما تارة و تارة أخرى

يحدث لهما انفصال ، بحيث هناك مسائل تخصّ العقل فقط و مسائل أخرى تخصّ الإيمان وحده ن و بالتّالي إنّ الإيمان أوّلا و العقل ثانيا ن و هذا في مسألة التّعلق باليقين ، أمّا العقل في مسألة وضوح اليقين فيأتي فيها العقل أوّلا و الإيمان أو النّقل ثانيا ، كما أنّ بونافنتورا يرى أنّ الله هو أصل المعرفة و هو حقيقة الحقائق و الله حاضر في النّفس دائما ، بمعنى أنّ الله حقيقة فطريّة في عقل كلّ إنسان و يرى أنّ العالم خلق من عدم.

أمّا عن ديكارت فهناك جدليّة في التّأثير بحيث يرى البعض بأنّه لا يمكن أن يصل تأثير أوغسطين إلى ما بعد العصور الحديثة و بعد الفلسفة الحديثة و لا يطال ديكارت الذي بدوره يقول بأنّه غير متأثّر بأوغسطين ، و ينكر كلّ هذا و لكن الكوجيتو الأوغسطيني كان سابقا على الكوجيتو الديكارتي و هذا ما يدعوا للحيرة لأنّ الكوجيتو الدّيكارتي يشبه كثيرا الكوجيتو الأوغسطيني.

كما أنّ تشابه كلّ منهما في مسالة الشّكّ أمر يثير الاهتمام ، و نجد أوغسطين مشابه لديكارت في مسألة أوليّة العقل في الحقائق الثّابتة خاصّة المسائل الرّياضيّة.

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ/ المصادر :

*القرآن الكريم ، سورة البقرة الآيات : 35 ، 36 ، 37 ، 38 ، دار ابن الهيثم ، القاهرة 2007.

*الكتاب المقدّس ، سفر التكوين ، الأية 01 ، دار الكتاب المقدّس في الشّرق الأوسط ، 1997

*الكتاب المقدّس ، سفر التكوين ، الآيتان 02 – 04 ، دار المشرق ، بيروت ، الطّبعة الثّالثة 1994

*مؤلفات القديس أوغسطين باللغة العربية

4_أوغسطينوس ، الاعترافات ، تر : الخوري يوحنّا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط 4 ، 1991

5_أوغسطينوس ، حياتك في الأبديّة ، تر : الأنبا إيساك ، مكتبة دير السّيّدة العذراء ، السّريان ، ط1 ، 1998 م.

6_أوغسطينوس ، مدينة الله ، تر : الخوري يوحنّا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط2 ، 2006 ، مج 1.

7_أوغسطينوس ،مدينة الله ، تر : الخوري يوحنّا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط 2 ،2007 ، مج 3

8_أوغسطينوس ، قيامة المسيح و قيامتنا ، تر : الأنبا إيساك ، مكتبة دير السّيّدة العذراء ، السّريان ، 1998.

9_أوغسطينوس ، شرح رسالة يوحنّا الأولى ، تر : الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق، بيروت، ط4،2001.

10-أوغسطينوس ، خواطر فيلسوف في الحياة الرّوحيّة ، تر : الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، بيروت ، ط7 ،2004.

ب/ قائمة المراجع :

11- أحمد علي عجيبة ، الخلاص المسيحي و نظرة الإسلام إليه ، دار الآفاق العربية .

12- أرمسترونغ ، مدخل إلى الفلسفة القديمة ، تر : سعيد الغانمي ، كلمة ،أبو ظبي ، ط1 ، 2009.

13- إتين جلسون ، روح الفلسفة المسيحيّة في العصر الوسيط ، تر : إمام عبد الفتّاح إمام، مكتبة مدبولي ، الكويت ، ط3 ، 1996.

14- جان توشار ، تاريخ الأفكار السّياسيّة من اليونان إلى العصر الوسيط ، تر : ناجي الدراوشة ، دار التّكوين ، دمشق ، ط1 ، 2010.

15- ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، ترجمة و تقديم و تعليق : عثمان أمين ، دار الثّقافة للنّشر و التّوزيع القاهرة .

16- زينب محمود الخضيري ، أثر ابن رشد في العصور الوسطى ، دار الثّقافة للنشّر و التّوزيع ، القاهرة 1983.

17- زينب محمود الخضيري ، لاهوت التّاريخ عند القدّيس أوغسطين ، دار قباء القاهرة ، 1997.

18– زكرياء إبراهيم ، اعترافات القدّيس أوغسطين ، مكتبة الأسرة ، مصر ،1994.

19- حمودة غرابة، ابن سينا بين الدين و الفلسفة، دار الطباعة و النشر الإسلامية ، مصر.

20- حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة ، ط2، 1987.

21- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012.

22- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة.

23- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط3 .

24- لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية، تر : صبحي الصالح ،دار العلم للملايين، بيروت .

25- ليو شتراوس، تاريخ الفلسفة السياسية، تر: محمود سيد أحمد ،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005 ،ج1.

26- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين و بروكلس ،دار العلم للملايين بيروت، ط1، 1991.

27- محمد يوسف موسى، بين الدين و الفلسفة في رأي ابن رشد و فلاسفة العصر الوسيط ، ط1 1988م.

28- ميخائيل ضومط، قادة الفكر توما الاكويني (دراسة مختارات) ،دار الشرق، بيروت، ط3 1992م.

29- مصطفى إبراهيم ، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت ،1993.

30- عبد السلام لودي، صراع أوغسطينوس ، ط1، 1990.

31- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم بيروت، ط3 ، 1979.

32- علي زيغور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية و الفلسفة المسيحية ،دار اقرأ ، بيروت، ط1 ، 1983.

33- صبري محمد خليل ، مقدمة في الفلسفة و قضاياها ، الجمعية الفلسفية للطلاب الخرطوم،2005

34- nandrè cressou; saint Augustin Savie,son œuvre,sa philosophie,(paris presses universit Aires de france 1957),p:61

ج/الموسوعات:

35-ابن الطفيل ،لسان العرب ،دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت ،1956،المجلد 11

36- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت ط2 ،2001 ،مج1.

37- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسة و النشر، بيروت ،ط1 ، 1984 ج1.

38- فؤاد كامل ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مراجعة زكي نجيب محمود ، دار القلم ، بيروت .

39- روزنتال ، الموسوعة الفلسفية، تر : سمير كرم ، دار الطليعة ،بيروت، ط2 ، 2006.

د/ المعاجم :

40- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982،ج2.

41- يعقوب ملطي، معجم الكتاب المقدس للفتيان ،مكتبة الفتيان، 1996، ج1.

42- مراد وهبه ،المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007.

فهرس الموضوعات

01- مقدمة :..... أ- هـ .

02- **الفصل الأول : العقل و مكانته عند أوغسطين** :.....7-25.

03- المبحث الأول :اوغسطين و الأفلاطونية المحدثة: .....08.

04- المبحث الثاني : مكانة العقل في العقيدة المسيحية: .....14.

05- المبحث الثالث :مسألة العقل و النقد عند أوغسطين: .....21.

06- **الفصل الثاني : تطبيقات العقل عند أوغسطين**: .....27-50.

07- المبحث الأول : نشأة العالم: .....28.

08- المبحث الثاني : نظرية المعرفة :.....36.

09- المبحث الثالث :السياسة و الأخلاق :.....43.

10- **الفصل الثالث : أوغسطين و أثره على الفلسفة** :.....52-69.

11- المبحث الأول : أوغسطين و أنسلم :.....53.

12- المبحث الثاني : أوغسطين بونافنتورا:.....59.

13- المبحث الثالث : اوغسطين و ديكارت:.....64.

14- الخاتمة :.....71.

15- قائمة المصادر و المراجع.....75.